د. عائض القرني

من موحد إلى ملحد

إليك وإلا لا تشـــد الركـــائب ومنك وإلا فـــالمؤمّل خـــائب
وفـيك وإلا فـالغـرام مُـضـيّع وعنك وإلا فـــالمحـــدّث كـــاذبُ

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرني، عائض عبدالله

حدائق ذات بهجة. ـ الرياض.

٤٤٧ ص؛ ١٦,٥×٢٤ سم

ردمك: ٣-١٧٢-٤٠-٩٩٦٠

١- المقالات العربية ـ السعودية أ ـ العنوان

ديوي ٥٣١، ٠٨١ ١١٢٨/ ٢٣

ردمك: ٣ـ ١٧٢ـ ٤٠ـ ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١١٢٨/ ٢٣

ڑطعةڑأ ى

ـڤفذ ـــ ڈ ڈ

قو ڑطاة فوة لنار

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب ٦٢٨٠٧ ـ الرمز ١١٥٩٥ هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ـ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

obeikandl.com

صفحة بيضاء ٤

obeikandl.com

الفهـرس

الموضوع	الصفحة
مناجـاة	
رسـالة الموحدين إلى الملحدين	
اللّه	
أحـد	
سبحانك ما عبدناك حق عبادتك	
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾	
وآذنبـاه	
﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾	
عسى اللّه أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده	
المقامة الكونية	
ثناء وتمجيد على الحميد المجيد	
يـا رب	
ثناء الجنان واللسـان على الملك الديَّان	
إلى أين المفر؟	
أجل محبوب	
إشارات تدل على عظمة الحميد ذي العرش المجيد	
ورحمتي وسعت كل شيء	
وجوب تقديره سبحانه حق قدره، وتوقيره ومعرفة حقّه على خلقه	
كتب ربكم على نفسه الرحمة	
العقول تحتار في معرفة أسرار أفعاله وفي إدراك مقاصد قدرته	

obeikandi.com

الموضوع	الصفحة

وإياي فارهبون ... ...
الملك الحق يدل العباد بحكمته وتمام قدرته على عظيم ربوبيته
وتمام ألوهيته ... ...
دمعة على بساطه ... ...
أوصافُه الجميلة، وأفعاله الجليلة، تدعو الخليقة لعبوديته، وتنادي
البريَّة لطاعته ... ...
﴿تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ ... ...
إمام الخائفين من رب العالمين ... ...
الكائنات علامات على قدرة رب الأرض والسماوات ... ...
الخوف هيبة سلطانه وصولة ملكه ... ...
الآيات البينات والبراهين الواضحات توجب على النفوس محبته
وتعظيمه ... ...
ثمار شجرة الشكر ... ...
سقى كلبًا فأرضى ربّاً ... ...
الأولياء يعلنون الشكر ... ...
درس في الشكر لا ينسى ... ...
مع العبد الشكور ... ...
وسنجزي الشاكرين ... ...
الشكر قيد النعم، ودافع النقم ... ...
تفسير الشكر ... ...
شاكرون لك يا رب ... ...

الموضوع	الصفحة
كل أسمائه حسنى، صفاته عُلا، وكل أفعاله حكمة، وكل شريعته رحمة	
الحمد للّه تملأ الميزان	
الرحمن الرحيم يفتح باب الرحمة على مصراعيه، ويدعو عباده بالإقبال إليه	
نعم اللّه تغمرنا، وفضله ينهمر علينا، وجوده يصل إلينا	
اللطيف الخبير، يسهل علينا شرعه وييسر علينا دينه، ويفيض علينا لطفه	
أينما اتجهنا وحيهنما حللنا وأينما ارتحلنا	
اعتذار في ساعة الاحتضار	
﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾	
صلة الحب بين اللّه وعبده تصبح قصة من أجمل القصص في الرعاية والولاية والحفظ والنصر والتأييد من اللّه، والإخلاص والصدق والتضحية والوفاء من عبده	
استغفروني أغفر لكم	
واللّه جواد كريم في إجابته سبحانه دعاء من دعاه، وسماعه سؤال من سأله، لحاجات الخليقة، وتسهيله لأمورهم، وتيسيره لمطالبهم، وتحقيقه وعده لهم	
رحمتي سبقت غضبي	
وأنا معه إذا ذكرني	
إنّ ربك واسع المغفرة	

obeikandi.com

الموضوع	الصفحة
كما علمه سبحانه وعظيم اطلاعه على السرائر، وما تحويه الضمائر، وعلمه بالخفيات، وما تنطوي عليه النيات	
خبير بما في الصدور، بصير بالأمور	
كفايته سبحانه لأوليائه، وغوثه لعباده، وتفريجه الكربات عن خلقه ...	
مناظرات الموحدين للملحدين	
من معاني التوحيد: نفي النقص عن الخالق، والاستغفار من نقص المخلوق ولذلك قرن بينهما في التنزيل	
أفي اللّه شك؟!	
وجوب ذكره سبحانه وشكره، ودوام تقديسه وتسبيحه، وتكبيره وتحميده، وأن ذكره أفضل الأعمال، وأشرف الخصال، وأحسن الأقوال	
شهادات من العيادات	
عظمة «لا إله إلا اللّه» وكبير قدرها، وثقل وزنها وجلالة منزلتها وسمون مكانتها والحق ما شهدت به الأعداء	
معنى: لبيك اللّهم لبيك، وتفصيل القول في مقاصدها، والإشارة إلى بعض لطائفها ودلالاتها	
﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	
قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ وأن الماء نعمة وهبة جزيلة من واهب النعم وكاشف النقم	
﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾	
حكمته سبحانه في خلق النوم وجعله راحة للأحياء وسكنًا للخلق	

الموضوع	الصفحة

ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ... ...
خلقه سبحانه الموت وكتابته الفناء على ما سواه وتفرّده بالبقاء تعالى
شاهدان على عظمة الرحمن ... ...
برهان على عظمة الديّان ... ...
عظمة السماوات والأرض ... ...
عظمته سبحانه وكمال قهره وعلو قدره، وشدة بطشه وعظيم قدرته،
ونفاذ مشيئته وغلبة أمره عزَّ وجلَّ ... ...
القرآن كتاب العظمة ... ...
اللّه يمدح نفسه ... ...
سبحانه ما أعظمه ... ...
﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ... ...
ثناء على رب الأرض والسماء ... ...
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ ... ...
﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ... ...
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد ... ...
﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ... ...
اللّه يعرفنا عليه ... ...
اللّه أحق من مُدح، وأجل من ذُكر، وأعظم من عُبد ... ...
﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ ... ...

الموضوع	الصفحة

سجدة في محراب العظمة تورث العزَّ والمجد للعبد	
استحيوا من اللّه حق الحياء	
الإحرام بالحج تعظيم للملك الحق، وإعلان الوحدانية له وحده، وإرغام الشيطان وحزبه	
توكلت على اللّه	
صوت العظمة يملأ الآفاق ويصل إلى سويداء القلوب ليملأها حبًا وشوقًا وتعظيمًا للباري	
﴿انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾	
فصل	
﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾	
﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾	
ادعوني أستجب لكم	
يستر ويغفر	
تقوى اللّه أجل ما يعظم به اللّه، وأحسن ما يقدس به الملك الحق تقدست أسماؤه	
رسالة حب	
حتى نحب ربنا	
حديث من الحب لا ينتهي	
عشر بطاقات للمحبة	
يحبهم ويحبونه	
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾	

obeikandi.com

الموضوع	الصفحة

الله أكبر ... ...

أعظم كلمة في الكون ... ...

ألا لله الدِّين الخالص ... ...

حق الله على العبيد ... ...

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا ... ...

ثمار الذكر اليانعة ... ...

ما هو الذكر؟ ... ...

درجات الذكر ... ...

فاذكروني أذكركم ... ...

أحد صمد ... ...

قطعة جميلة من الثناء ... ...

رحماك يا رب ... ...

الرحمن على العرش استوى ... ...

نثبت ما أثبت وننفي ما نفى ... ...

سلفيون في فهم النصوص ... ...

آمنا بالله وبما جاء عن الله ... ...

استواء يليق لجلاله ... ...

قولنا في التوحيد ... ...

أقوال السلف في الاستواء ... ...

رب العرش العظيم ... ...

الله على عرشه بائن من خلقه ... ...

الموضوع	الصفحة

أين اللّه؟ ... ...
الدعاء هو العبادة ... ...
تأدب إذا دعوته ... ...
قريب مجيب ... ...
موانع الإجابة ... ...
قل اللّه ينجيكم منها ومن كل كرب ... ...
ادعوني أستجب لكم ... ...
رضى برضى ... ...
وكانوا لنا عابدين ... ...
إن أعلمكن باللّه وأخشاكم له أنا ... ...
رسل اللّه يعظمون اللّه ... ...
اللّه جميل يحب الجمال ... ...
أقوال أطباء القلوب في معرفة علام الغيوب ... ...
بماذا يتفاضل الناس ... ...
بماذا نعرف ربنا؟ ... ...
مع اللّه في السراء والضراء ... ...
ليسوا سواء في المعرفة ... ...
أحسن الأسماء ... ...
أسماؤه الحسنى ... ...
تحية للجليل ... ...
أبيات في النفي والإثبات ... ...

obeikandl.com

الموضوع	الصفحة

أهل السنة لهم قواعد في الأسماء والصفات ... ...
نقف مع النص ... ...
ليس كمثله شيء ... ...
قف حيث وقف القوم ... ...
إذعان وتسليم ... ...
وإن من شيء إلا يسبح بحمده ... ...
م١٠ أجمل الاسم والمسمى ... ...
لا يغيب عنه شيء ... ...
تسبيحة من شاعر ... ...
إنَّ ربك واسع المغفرة ... ...
غافر الذنب وقابل التوب ... ...
أكرم الأكرمين ... ...
الكبرياء رداؤه والعظمة إزاره ... ...
وسع سمعه الأصوات ... ...
عظمة اللّه في خلق البحر ... ...
اقرأ الجمال في الوجود ... ...
سبحانك ما خلق هذا باطلاً ... ...
جليس من ذكره ... ...
من أحبَّ لقاء اللّه أحبَّ اللّه لقاءه ... ...
اللّه غـالب على أمـره ... ...
مقيل العثرات ... ...

obeikandi.com

الموضوع	الصفحة
ذو الفضل العظيم	
يحب المدح وهو أهله	
أمن يجيب المضطر إذا دعاه	
نغم الخلود في مدح رب الوجود	
القرآن كلامه	
أفي الله شك؟!	
يوم الوحدانية	
وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغًا	
رسوله المعصوم ﷺ	
ثناء في مهرجان العظمة	

obeikandi.com

مناجاة

أنت سبحانك الماجد الواحد، الغني القوي، الحكيم القدير، وأنا العبد الحقير الفقير، الذليل الضعيف، العاجز المذنب. أنا الذي كنت صغيرًا فربيتني، وكنت ضالاً فهديتني، وكنت فقيرًا فأغنيتني، وكنت جاهلاً فعلمتني، وكنت مبتلى فعافيتني، وكنت مريضًا فشفيتني، وعاصيًا فسترتني.

أنت الذي أعطى وأسدى، وهدى وكفى، وأطعم وأسقى، ومن كل بلاءٍ حسنٍ أبلى.

وأنا الذي قصّرت في أوامرك، وخالفت نواهيك، ولم أقم بحق شكرك، ولا بواجب ذكرك، ولم أخلص عبادتك، وأحسن طاعتك.

خيرك إليَّ نازل، وذنبي إليك صاعد، نعمتك عليَّ سابغة، وتقصيري في جنبك كثير.

أنت الذي يسر لي الهداية، وأتم عليَّ النعمة، وكشف عني الغمة، فتقتَ لساني بذكرك، وألهمتَ قلبي شكرك، وشرحتَ صدري لنورك. فأنت المنعم أولاً وآخرًا، وسرًا وجهرًا، وباطنًا وظاهرًا.

وأنا العاجز فلا حيلة لي إلا بتدبيرك، والذليل فلا نصرة لي إلا بقوتك، والفقير فلا غنى لي إلا بفضلك، والضال فلا هداية لي إلا بتوفيقك.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

رسالة الموحدين إلى الملحدين

جلَّ قدرك فلن تُضام، وعظم شأنك فلن تُرام، عطاياك أفضل العطايا، وقضية عبوديتك أسمى القضايا، بحمدك تشدو الأطيار، وبشكرك تميس الأزهار، تكاد السموات من هيبتك أن تتفطر، ويكاد الصخر من خشيتك أن يتفجر، علمتَ النوايا واطلعتَ على الخفايا، وأحطت بالضمائر، وكشفت السرائر.

لا أكرم منه إذا أعطى، لا أحلم منه إذا قدر، لا أقوى منه إذا أخذ، لا أعدل منه إذا حكم، لا أصبر منه إذا أوذي، لا أرحم منه إذا ملك، لا تساويه بالأنداد فلا يساويه شيء، لا تشبهه بالأضداد فلا يشبهه شيء، لا تمثله بالمخلوق فلا يماثله شيء.

متفرد متوحد متميز، تفرد بالبقاء، وبأحسن الأسماء، وبأجل النعوت والثناء، وتوحد بالربوبية والألوهية، وتميز بالخلق والرزق، والتدبير والملك.

مَدْحُهُ سبحانه عبادة، فهو يحب المدح؛ لأنه أهل للمدح مستحق له، ولذلك مدح نفسه.

فَمَدْحُ الخالق اعترافٌ بالجميل، وثناء على الجليل، ودليل على صدق العبودية وخلوص الطاعة، ومَدْحُ المخلوق خور واستخذاء، وملق وادعاء.

والله فوق ما تقول من الثناء، وأعظم مما نتحدث به من المدح، وأسمى من وصفنا؛ لأنه لا تحيط به الظنون، ولا تقدر قدره الأوهام، ولا توفيه حقه الألسنة.

والذين ألحدوا في ألوهيته وأسمائه وصفاته إنما فعلوا ذلك لثلاثة أسباب: نقص العقل، والعلم، والخشية.

فنقص العقل جعل الواحد منهم سفيهًا صفيقًا سخيفًا مهبولاً أحمق، يهرف بما لا يعرف، وينطق بما لا يحيط به علمًا، كما فعل كل طائش زائغ رعديد مريد: كابن الراوندي، والمعري، والحلاج، وغيرهم.

ونقص العلم يجعل الإنسان جاهلاً غبيًا بليدًا، لا يعتمد على نقل، ولا يعرف برهانًا، ولا يعتصم بوحي، كما هو شأن المبتدعة الضالين الزائغين عن منهج السلف ومذهب أهل السنة.

ونقص الخشية يجعل العبد فاجرًا ماردًا جريئًا على المحرمات مجتازًا للحدود، خارقًا لحجاب التقوى، كاسرًا لحواجز العبودية، كما هو شأن الظلمة من الولاة، والفسقة من سائر الناس أهل الكبائر والموبقات، وأصحاب الجرائم المهلكات.

ومن شعائر العبودية الراشدة، وسمات الولاية الصادقة: تقديره سبحانه حق قدره، وتعظيمه حق عظمته، أسماءً ووصفًا وطاعةً وعبوديةً وتوحيدًا فلا يسمى بغير أسمائه، ولا يوصف بغير صفاته، ولا تعصى أوامره، ولا ترد أقواله، ولا تعطل صفاته، ولا تنتهك حرماته، ولا يمثّل، ولا يشبّه، ولا يُشرك معه إلهٌ آخر. لا إله إلا هو، كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون.

سبحان الله، عرّف وحدانيته بهدهد، وضرب مثلاً ببعوضة، وعلّم الدفن بغراب، وفدى نبيّاً بكبش، وأدخل امرأة الجنة بكلب، وعذّب أخرى بهرة، وحذّر من جيش بنملة، وتحدى أعداءه بذباب، ودمّر قومًا بناقة، ووصف اليهود بحمار، العارف **بالله رضي، سوي، قوي، غني، بهي.**

فرضي: لأنه ساكن القلب بربه، عامر النفس بحب مولاه، حي الإرادة بطاعة خالقه.

سوي: لأنه على صراط مستقيم، وهدى عظيم، وعناية ربانية.

وقوي: لأن الله معه، والله ناصره، والله ركنه، ومعينه ومؤيده.

وغني: لأنه وحّد الله فما فقد شيئًا، وحصل على معرفته فما فاته شيء. فما افتقر، ولا قهر، ولا تعثر، ولا انكسر.

وبهي: لأن جمال التوحيد لباسه، وكسوة التقوى قميصه، وجلال الإيمان تاجه.

إنّ ذكرتَهُ ذكرك، إن شكرته زادك، إن استغفرته غفر لك، إن توكلت عليه كفاك، إن أطعته أحبك، إن ذللك إليه أعزك، إن افتقرت إليه أغناك، إن لجأت إليه حماك، يبتليك ليسمع دعاءك، يمتحنك لينقيك، يهذبك ليصطفيك، يصيبك ليمحصك.

سأل رجل أحد العارفين عن الله، فقال له: هل ركبت البحر فجاءتكب رياح هوجاء وآيستم من الحياة؟ قال: نعم. قال: فمن سألتم؟ قال: سألنا الله. قال: فهذا هو الله الذي تسأل عنه.

وقال بعضهم: إذا **سألك عالم عن الله**، فقل: هو الذي يحيط بالمعلومات، ويعلم الخفيات، ويحل المشكلات.

وإذا **سألك فلاَّح عن الله**، فقل: هو الذي ينبت الشجر، وينزل المطر، ويفجر الماء من الحجر.

وإذا **سألك الملوك عن الله**، فقل: هو الذي يقصم الجبابرة، ويكسر بالموت ظهور الأكاسرة، ويقصر بالفناء آمال القياصرة.

وإذا **سألك ربان السفينة عن الله**، فقل: هو الذي يجيب الصياح، وينجيب الأرواح، ويجري الرياح.

وإذا **سألك المريض عن الله**، فقل: هو الذي يشفي العليل، ويروي الغليل، ويعافي من الخطب الجليل.

وإذا **سألك الطبيب عن الله**، فقل: هو الذي ينزل الدواء، ويرفع الداء، ويكتب الشفاء.

وإذا **سألك الغني عن الله**، فقل: هو الذي لا تفنى خزائنه، ولا ينتهي جوده، ولا يحد كرمه، ولا يوصف غناه.

وإذا **سألك الفقير عن الله**، فقل: هو الذي يقضي الحاجات، ويجيب على السؤالات، بتعدد اللهجات، واختلاف اللغات.

وإذا **سألك الجائع عن الله**، فقل: هو المطعِم الرازق، الجواد الخالق، ملأ بفضله الآفاق، وازدحم جوده في الأسواق.

عَرَفَ الظامىء ربه وهو يشرب الماء النمير البارد، يروي غليله، ويطفىء لهيبه، وينعش روحه، ويبرد كبده، فيحمد منزّله جل في علاه.

عرف السجين ربه وهو يؤنسه بذكره، ويلح عليه بالفرج، ويأمل منه اليسر بعد العسر، فيسهل خروجه:

ولربَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتى
ذرعًا وعند اللهِ منها المخرجُ
ضاقتْ فلما استحكمتْ حلقاتُها
فرجتْ وكنتُ أظنها لا تفرجُ

عرف الطير ربه ينثر له الحب، ويسكب له الماء، ويهيىء له الغذائ، ويدله على بناء العش، ويهديه إلى مساربه وطرقه.

عرف النمل ربه بنى له بيتًا، وأجرى له رزقًا، وألهمه معيشته، وبصّره بمنافعه.

عرف النحل ربه فهيأ له ما طابس من الغذاء، فخرج شهدًا حاليًا، وعسلاً صافيًا، وأرشده إلى خليته، وهداه لبناء شمعه، فتبارك الله أحسن الخالقين.

روى أحمد وابن حبان والطبراني وحسّنه الحافظ ابن حجر عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اذكر الله حتى يقول الناس إنك مجنون»(١).

ومن جنوني بكم قالوا به مرضٌ

فقلتُ لا زال عني ذلك المرضُ

وقال أهل السير: لما دخل موسى عليه السلام على فرعون قال فرعون: أبك جنون؟ قال موسى: عندي دواء المجانين.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم

ونترك الذكر أحيانًا فننتكس

ومن الذاكرين من ارتعد وارتعش، ومنهم من أغمى عليه وسقط، ومنهم من فقد وعيه وصعق ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ .

جعلت لعرَّاف اليمامة حكمه

وعرَّاف نجد إن هما شفياني

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١١٢٧٧، ٢٧٣١٠)، وابن حبان برقم (٨١٧)، والحاكم برقم (١٨٣٩)، وانظر: «مجمع الزوائد» (١٠/١٧٥).

obeikandl.com

فـوالله مـا من حكمـة يعلمـانهـا

ولا رقـيـــة إلا بهـــا رقـــيـــاني

فـقـالا شـفـاك الله والله مـا لنا

بمكنون مـا تحـوي الضلوع يدان

قـالوا لخـالد بن مـعـدان الزاهـد: كم تسـبِّح في اليـوم؟ قـال: مـائة ألف تسبيحة إلا أن تخطىء الأصابع، وأشكو إلى الله التقصير.

وقال أبو هريرة - وكان يسبح اثنى عشر ألف تسبيحة:- أنا أسبح بقدر ديتي.

ولما ألقي يوسف في الجب بقي يسبِّح لا يفتر، حتى آنس وحشته، ورد غربته، وكشف كربته.

وكان إمام من الأنصار في عهده ﷺ يقرأ في كل ركعة: فسأله ﷺ: لِمَ تقرؤها في كل ركعة؟ قال: لأن فيها صفة الرحمن فأنا أحبها، قال: «حبك إياها أدخلك الجنة»[(١)]، وفي رواية «أخبروه أن الله يحبه»[(٢)].

وتعلّق رجل بحديث: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان، خفيفتان على اللسان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[(٣)].

فكان كثير اللهج به، مدمنًا على تكراره، يوصي به كل من لقيه، حتى إنه مرض فلما نقل إلى المستشفى وأصابه ذهول من شدة المرض، فكان الطبيب

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا في «كتاب الأذان»، باب الجمع بين السورتين في الركعة، وأحمد برقم (١٢٠٢٤، ١٢١٠٣)، والترمذي برقم (٢٩٠١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٥)، ومسلم برقم (٨١٣)، والنسائي برقم (٩٩٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٦، ٦٦٨٢، ٧٥٦٣)، ومسلم برقم (٢٦٩٤)، وأحمد برقم (٧١٢٧).

obeikandl.com

يسأله عن مرضه، فيقول: كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ويسوق الحديث وكلما زاره زائر ذكر له الحديث، حتى مات وهو يتلفظ بالحديث.

وداعٍ دعا إذ نحن بالخيف من منى

فهيَّج أشواق الفؤاد وما ندري

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما

أطار بليلى طائراً كان في صدري

وكانت عجوز تحفظ حديث سيد الاستغفار: اللّهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوءُ لك بنعمتك عليّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[(١)]، فكان وردها في كل وقت، تلهج به ليلاً ونهارًا ما يخف لسانها منه، وفقدت ذاكرتها فما نسيت هذا الدعاء، وبقي معها دائمًا وماتت وهي تتلفظ به.

فسبحان من أجرى ذكره على ألسنة عباده الصالحين، وقال تعالى في حديث قدسي: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»[(٢)]، وقال: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»[(٣)].

فليس في الكون من يأنس به العبد إلا الله، وليس في العالم من تطمئن بذكره القلوب إلا الله، ولا يزال القلب قلقًا ممزقًا مهمومًا مغمومًا فزعًا، حتى

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦، ٦٣٢٣)، وأحمد برقم (١٦٦٦٢، ١٦٦٨١)، والترمذي برقم (٣٣٩٣)، والنسائي برقم (٥٥٢٢).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا في «كتاب التوحيد»، باب قول الله تعالى: ﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ**﴾، وأحمد برقم (١٠٥٩٣)، وابن ماجه برقم (٣٧٩٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥)، وأحمد برقم (٧٣٧٤، ٩٠٨٧، ٢٧٢٧٩).

يلتجىء إلى ربه ومولاه يذكره ويشكره، فإذا هذا القلب مطمئنًا مسرورًا، مرتاحًا ناعمًا سعيدًا ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

شكى ألم الفراق الناس قلبي

وروّع بالنوى حي ومـــيت

وأما مثلما ضمت ضلوعي

فإني ما سمعت ولا رأيت

فأوحش الناس نفوسًا، وأقساهم قلوبًا، وأخربهم بيوتًا، وأشقاهم حياةً، وأضيقهم عيشًا: مَنْ نسوا ذكر الله فنساهم أنفسهم.

ولا تجد من نسي ذكر الله إلا تعيسًا خائبًا، مخذولاً منكوسًا، محرومًا: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾.

فيا من أتعبته الحياة وأحزنته الدنيا، وأتعسه الكد، وأضناه العيش، أذق قلبك طعم ذكره؛ لتجد الفرس والسرور، والراحة والحبور.

سئل بعض الحكماء عن الله؟ قال: هو الذي ينقض الهم، وينكث العزم، ويعلم النوايا.

وقال غيره: هو المقصود في الملمات، المدعو في الأمات، المرجو لكشف الكربات.

وقال آخر: هو الذي يُفزع إليه ساعة الاضطرار، ويُحتمى به وقت الأخطار، ولا يُنال ما عنده إلا بالتذلل والافتقار، والتمسكن والانكسار.

يكفيك أن تشرف على حديقةٍ غناءَ مخضرةٍ ندية قد أورق شجرها، وتفتح زهرها، وغنى حمامها، وتمتم ماؤها، ثمش لا تشغلك هذه المناظر والألوان والأصوات عن مسألة واحدة وهي: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾.

هذه الحديقة لوحة هائمة بالحسن بجلاله وعظمته ووحدانيته، فكأن الطير تقرأ سور العظمة سطرًا سطرًا، وتنشد قصائد حمد الله بيتًا بيتًا، وكأن الماء مداد يكتب على الأرض ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾.

وكأن ورق الشجر صحف ينقط فيها الغمام رسائل الحب للملك العلام.

أي إبداع هذا الإبداع! وأي صنع هذا الصنع! من كل لون رائق، ومن كل طعم لذيذ، ومن كل زوج بهيج، ومن كل منظر خلاب، إنها ﴿**حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**﴾.

يقول أبو معاذ الرازي الواعظ المشهور: الوعد حق العباد على الله وهو أحق من وفّى، والوعيد حق الله على العباد وهو أحق من عفا، ومن يتأمل نصوص الشرع وأدلة الوحي يجد كرمه سبحانه ورحمته سبقت غضبه ونقمته، ورحمته وسعت كل شيء، وفضله عمّ كل مخلوق، وبره وصل كل كائن، وهو سبحانه يقبل التوبة، ويغفر الذنب، ويستر القبيح.. ويتجاوز عن مثل الجبال من الخطايا، كرمًا وجودًا، وتفضلاً وإحسانًا.

حتى إنه ربما قدّر سبحانه الذنب على عبده رحمة منه بهذا العبد لما يعلم من أسرار واختيار في تقدير هذا الذنب على العبد، ثم يرزقه التوبة والإنابة والإقلاع من هذا الذنب، فيكون في حقه رحمة ونعمة؛ لما يترتب عليه من ندم وأسف، وانكسار وافتقار، وذل وعبودية، وخشية وإنابة، وخشوع وتوبة، وبكاء وتواضع، ورحمة بالمخلوقين، واعتذار للمقصّرين، وقصم لظهر العجب، وإحراق لجراثيم الكبر، وقيام بالحسنات الماحية مع خوف ووجل، فلا يزال ذلك الذنب نصب عيني المذنب في كل آن، فيكون أنفع له من كثير من الطاعات، وأعظم

ثوابًا من بعض الصالحات، فسبحان البصير بعباده، الحكيم في قضائه وأمره ونهيه، جل في علاه.

ومن حكمته سبحانه أنه يقدر لبعض الناس رزقًا واسعًا، ومالاً فائضًا، وغنى وثراء ليتقرب هذا العبد بما أعطاه الله إلى مولاه، فينفق في الواجبات ويبذل في الصدقات، ويبر به والديه، ويصل به رحمه، ويجاهد به في سبيل الله، ويجهز الغزاة، ويبني المساجد، ويطبع الكتب، ويكفل الأيتام، ويعود على المساكين، وينفق على الأرامل والبائسين، فيصبح بما أعطاه الله من أكبر الأولياء، وأجل العباد الصادقين، ويدخله جنته بما أنفقه وأعطاه، وجاد به وأمضاه.

ومن حكمته جل في علاه أن يضيّق رزق بعض الناس، فلا يعطيه إلا الكفاف، أو أقل، لأنه علم سبحانه أن هذا العبد لا يصلحه إلا القليل، فلو أكثر عليه من الرزق لبغى وطغى، وتكبّر وتجبّر، وعتى وتمرد، فأراد سبحانه من هذا العبد أن يتواضع، وأن يتمسكن، وأن يحفظ دينه، ويعرف ربه، حكمة بالغة، وقدرة نافذة، ﴿**لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾، وكما جاء في بعض الآثار: «**إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأطغيته، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأطغيته**»[1].

وقس على ذلك حكمته سبحانه في معافاة بعض الناس من الأمراض، وإصابة بعضهم بها، ورزق بعضهم ذرية، وجعل بعضهم عقيمًا، جلَّ في علاه، لا نعبد إلا إياه.

وقد قيل لبروفيسور عبقري غربي وقد أسلم: ما سبب إسلامك؟ قال: نظرت إلى صنعه فوجدته حكيمًا لا يفعل شيئًا عبثًا.

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذيب في «نوادر الأصول» (٢٣٢/٥)، وانظر: «تفسير القرطبي» (٢٨/١٦)، و«تفسير ابن كثير» (٣٩/٣، ١١٦/٤).

وقد ذكر الدكتور زغلول النجار: أن آخر ما توصل له علماء النبات أن البذرة لا تنبت إذا وضعت في الأرض حتى تهتز الأرض هزة خفيفة دقيقة فتفقس البذرة وتنبت بإذن الله ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

ولا يزال العلم يكتشف كل يوم آية من آياته، وبينة من بيناته، تدل على حكمته ورحمته، وجلال صنعه، وجمال إبداعه ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

وما على العبد إلا أن يفتح عينيه أمام العالم المشهود ليرى عظمة ربه، وحكمته ورحمته، ولكن ينبغي أن لا تمر هذه الصور والمشاهد بلا تدبر ولا تأمل ولا تعقّل ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾.

ففي كل شيء له آية

تدل على أنه واحد

فيا عجبًا كيف يعصى الإله

أم كيف يجحده الجاحد

وأعلم أن التفكر في آياته يوجب محبته، لأنه يدل على حكمته وعظمته، ونعمته على عباده، ومحبته سبحانه أسمى المطالب وأعظم المكاسب.

يقول فتح الموصلي: المحب لله لا يجد للدنيا لذة ولا يغفل عن الله طرفة عين.

وقال بعضهم: المحب طاهر القلب، كثير الذكر، متسبب إلى رضوانه بكل سبيل يقدر عليها من الوسائل والنوافل.

وقال آخر: محب الله له علامات: محافظته على تكبيره الإحرام جماعة، وسلامة صدره من كل ضغن، وحلال مطعمه، وطهارة لسانه، ومن أحب الله كان نظره عبرًا، وصمته فكرًا، ونطقه ذكرًا، وعمله شكرًا.

فيا ويل قلب ما عرفه، ويا عبد ما أحبه، ويا حسرة على عين ما بكت من خشيته، ويا ندامة نفس ما تلذذت بمعرفته، إذا وجدتَهُ فقد وجدت الأنس والعز والغنى، فهو عز من ليس له عشيرة، وأنس من ليس له صاحب، وغنى من ليس له مال.

مدح قوم أحد العلماء فغضب واحمر وجهه وقال: أي المدح الحق لا يكون إلا لله عزّ وجلّ.

ولما مدحوا شيخ الإسلام ابن تيمية غضب وقال:

أنا المكدي وابن المكدي

وهكذا كان أبي وجدي

obeikandi.com

اللَّهُ

اللّه: أجل الأسماء وأعرف المعارف وأعظم الأعلام، وأسمى أسمائه سبحانه ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾. واللّه المألوه وهو المحبوب لأوليائه يحبهم ويحبونه، فلا أحب إلى قلوب عباده منه، ولا تجدها تتعلق بشيء أشد تعلّقًا منها به ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾. واللّه المألوه المعبود بحق، فلايستحق العبادة إلا هو، فكل إله سواه باطل، وكل عبادة لغيره فاسدة، فالتأله له فريضة، وعبادته شرف ورفعة، وتوحيده هو المقصد من خلق الخليقة.

واللّه هو مقصد القلوب، ومنتهى مطلب النفوس، فلا تسكن الأرواح إلا إلى اللّه، ولا تطمئن النفس إلا إليه، وكل من ركن إليه وجد الأمن والسكينة والغنى والعزة والنصر، ومن ركن إلى غيره أصابه اللّه بالخذلان والخسران والزلة والخزي والعار في الدنيا والآخرة.

اللّه: أجل ما نطقته الألسن، وتحركت به الشفاه، ولفظته الأفواه.

اللّه: أعظم ما ذكرته النفوس، ودار في القلوب، وطاف ذكره في الضمائر، وعقدت على حبه السرائر.

اللّه: أحسن كلمة في كل اللغات، وأجمل عبارة في اللهجات، وأبهى لفظة في قاموس، وأحب اسم في المسميات.

اللّه: حيث الجلال والجمال والكمال، حيث الكبرياء والعظمة، حيث الملكوت والجبروت، والقوة والقدرة، والقهر والعزة، والغنى، والدوام والبقاء، والتفرد والمجد.

اللّه: حارت فيه الأفكار، والندهشت من عظمته العقول، وذهلت من بديع صنعه الخليقة، وبُهت من حجته الطغاة، واندكّ من كبريائه الجبل، وانشقّ من خوفه الحجر، وجرى من خشيته الماء من الصخرة الصماء.

حـــارت الأفكار فـي قـــدرة مَنْ

قـــد هدانا ســـبلنا عـــزّ وجلّ

اللّه: غنِى الفقير، وصِحة السقيم، وهِداية الضال، وعافية المريض، وعِزة الذليل، ونصرة المظلوم، وفَرَج المكروب، ونجدة المستغيث، يشبع الجائع، يسقي الظمآن، يكسو العاري، يتوب على التائب، يعلم الجاهل، يعافي المُبتلى، يقصم الجبّار، يقهر الكفار، يخزي الملحد المعاند، يعز ويذل، يُغني ويُقني، يُضحك ويُبكي، يُعافي ويبتلى، يخفض ويرفع، يُولي ويعزل، يقبض ويبسط، يُمرض ويُشفي، يهدي ويُضل، يُعطي ويمنع.

وصفه لا يحاط، قدره لا يقدر، حقّ عبادته لا يستطاع، عذابه لا يطاق.

اللّه: غني فلا يفتقر، قوي فلا يقهر، دائم فلا يزول، عادل فلا يظلم واجد فلا يحتاج، لا تحده العقول، لا تدركه الأبصار، لا تحيط به الظنون لا يحجزه شيء، لا يتعاظمه أمر.

قوله حق، خبره صدق، حكمه عدل، قضاؤه رحمة، أخذه بغتة، فَرَجه فجأة، تدبيره حكمة، قدره لطف، رحمته فضل، ررضاه أجلّ المقاصد، ثوابه أعلى المطالب، محبته أسمى المكاسب، عبادته أربح تجارة، ذكره أحسن سلوة، معصيته أقبح عمل، العز أن تعبده، الفخر أن تطيعه، المجد أن تحبه، الخذلان أن تحاربه، الخسران أن تحاده، علا فقهر، اطلع فستر، قدر فغفر، عُبد فشكر، استُنصر فنصر، ذكر فذكر، أبدع فبهر، دُعي فأجاب، سئل فأعطى، طلب فلبَّى. السرُّ عنده علانية، الخافي لديه بادي، والصعب في قدرته سهل، والعسير في قضائه يسير، والبعيد في علمه قريب، كم برأ من نفس، كم أحسن من صُنع، كم أباد من قرن، كم أفنى من دول، كم قهر من جبار، كم قصم من طاغية، كم كشف من كربة، كم أزال من غمة، كم شفى من علة، كم ستر من زلة.

obeikandl.com

اللّه: له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والفعال الجميلة، والمواهب الجزيلة، والمقامات الجليلة.

اللّه: له تمام الحبّ، وغاية العظيم، ونهاية الذُّل، وكمال الانكسار، وأقصى درجات الخشية.

اللّه: المنزَّه عن العيوب، البريء من النقص، السليم من التقصير، المقدَّس عن كلِّ ما يشين، المتعالي عن كل ثلم.

اللّه: اسمه الأجل الذي عرف نفسه به فقال: ﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا** ﴾.

obeikandl.com

obeikandl.com

اللّه

جليس من ذكره، محب من شكره، ناصر من تولاه، معزٌّ من أطاعه، مذلٌّ من عصاه، كافي من توكل عليه، مجير من استجار به.

الجلوس معه أُنس من الوحشة، وأمان من الفزع، وحصن من المخاوف، وعصمة من الزيغ، وسلامة من المتالف.

الاعتماد عليه انتصار على النفس الأمارة، وقهر للشيطان، وغلبة للهوى، وحرز من الطاغوت، وعدة في الأمات.

تذكُّر نِعَمهُ نعمة أخرى، وعبادة كبرى، تتطلب المزيد، وتستدعي الدوام، وتستجلب رضاه، وتستدر رحمته.

تأكل الطعام فتشكره عليه فيرضى عنك، تشرب الشراب فتحمده عليه فيعفو عنك.

جِلْدُك الحسن صحيفة تشهد بحسن صنعه، عيناك شاهدتان بجلاله، أذناك سامعتان آيات مدحه، قلبك فطر على توحيده، دمك يجري بإذنه، حياتك وقف على أمره. أحياك، صورك، رزقك، أطعمك، سقاك، كفاك، آواك، نصرك، علَّمك، بصَّرك، هداك، أسعدك، أرضاك، هدى فؤادك، أنار بصرك، شق سمعك، حرّك لسانك، سوّى أركانك، ثبّت إيمانك.

يُضحِكُكَ ويبكيك، يميتك ويحييك، يغضبك ويرضيك، يسرك ويحزنك.

يغاير عليك الأحوال، يقلِّب عليك، يخالف بك بين الشهور والأعوام.

خلق الحرَّ والقر، والنفع والضر، والخير والشر، والفجور، والبر، أحكم الصنع فأتقن، جمَّل الخلق فأحسن، فأبدع، رفع السماء فأحكم، بسط الأرض

obeikandl.com

فسوى، علا فقهر، حكم فقدر، قدر فعنا، أعطى فأغنى، وهب فأرضى، اطّلع فستر، علم فحلم، قضى فأمضى، رحم فتجاوز.

أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، خلق الخلق وعلى العرش استوى، صوَّرَ فَرِيشة الإبداع موحية، معبرة مؤثرة، تكتب بأقلام القدرة على صفحات المخلوقات أحرف العظمة، وأسطر الحكمة ليؤلف منها كتاب العظمة لله جل في علاه.

لو أن الطير بهتافه يتكلم، ويتغريده يتحدث، لسمعت لتسبيحه في الروض دوي كدوي الحجاج عشية عرفة.

ولو أن الهر إذا ماس، والورد إذا تمايل بأسراره، وترنم بأشعاره، لسمعت قصائد الحب للعظيم جل في علاه أروع وأبهى من قصائد الشعراء في سوق عكاظ.

ولو أن الماء المتدفق، والنهر المترقرق، والينبوع المترفق، أُذن له لنطق فقال: سبحان المتفرد بالجمال والكمال والجلال.

ولو أن الصخر تحدث، ولو أن الحجر تكلم، ولو أن الجماد له لسان، لسمعت التبجيل والتهليل، ولملأ سمعك التقديس والتسبيح لله الواحد القهار.

هل أحد له منة على الخليقة غيره؟! هل أحد له يد لدى البريةب سواه؟! الفضل فضله ولو جحد من جحد، والملك ملكه ولو ألحد من ألحد.

تمَّ أُنس من جالسه، كَمُل توفيق من عبده، حَسُن مصير من أطاعه، عَظُم أجر من شكره، طاب عيش من أحبه، أفلح وجه من عرفه، يقول الله لموسى: «**أنا جليس من ذكرني**»[1] لا غربة على من جالسه إذا استوحش الغرباء، ولا

(١) أخرجه ابن أبي شيبة برقم (١٢٢٤، ٣٤٢٨٧)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (٦٨/١)، والبيهقي في «الشعب» برقم (٦٨٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٧/٦، ٤٢)، وانظر: «كشف الخفاء» برقم (٦١١).

على من ذكره إذا حزن الغافلون، فذكره الدواء المجرّب، والترياق النافع، والعلاج الناجع.

ويقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ فمن ذكره ذُكر في الملأ الأعلى، والندي الأسمى، والمكان المقدس، والمنزل المطهّر، والرحاب المباركة، وإذا ذكر الله عبدًا في الملأ الأعلى فقد ذاع صيته، وتعاظم سؤدده، وكمل مجده، وعلا حظه، وارتفعت درجته.

وله سبحانه من الأسماء أسماها، ومن الصفات أعلاها، ومن الأعمال أبهاها، ومن المدائح أحسنها وأحلاها، ومن الأعمال أصدقها وأزكاها، ومن المقاصد أخلصها وأتقاها. فمن اهتدى بهداه فما ضلَّ ولا زلَّ ولا ذلَّ. وكيف يضل من هدى ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾، وكيف يزل من تولاه، وكفى بربك واليًا، وكيف يذل من وفقه، وكفى بالله حاميًا.

ومن استنار بنوره **فما غوى وما هوى وما افترى.**

فما غوى: لأنه اعتصم بالرحمن، واتبع القرآن، واهتدى بالبرهان.

وما هوى: لأنه عصى الشيطان، وخالف النفس الأمارة بالعصيان، وعصيالهوى الفتان.

وما افترى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ لأنه عرف الحق، ونطق بالصدق، وفاز بالصواب، يقول جل في علاه: فلا يغيث العباد والبلاد إلا هو.

لا يرحم الكائنات سواه، فغيث الأرواح من عنده وحيٌ صادقٌ، ورسالة مباركة وشريعة مقدسة، وغيث البلدان من عنده ماءٌ طهورٌ مباركٌ، وخيرٌ عميمٌ، وفضلٌ جسيمٌ، وهو ولي من تولاه نصرةً ورعايةً وحفظًا وتوفيقًا

وتسديدًا وتأييدًا، وهو الحميد المحمود بكل لسان، المعروف بالإحسان، الموصوف بالتفضيل والامتنان، فحمده على أسمائه لأنها حسنى، جمع فيها الكمال والجمال والجلال، وحمده على صفاته لأنه ليس فيها عيب ولا نقصان، ولا مشابهة لصفات الإنسان. تعالى الله عن كلام أهل الإلحاد والجحود والتعطيل والكفران. وحمده على أفعال؛ لأنها جميلة وافية، كاملة الحكمة، تامة الإتقان.

وقال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ فأمره غالب على أمر سواه، وحكمة قاهر لحكم غيره، ينفذ قضاؤه فلا يرد، وتغلب إرادته فلا تحد، وتصل نعمه فلا تعد.

وقال تعالى: ﴿ **فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾ فما فعله فقد أراده، فلا خطأ في التقدير، ولا غلط في الحسبان ، ولا اضطراب في الفعل، وما أراد فعله فلا تقصير في الإرادة، ولا عجز في المشيئة، ولا ضعف في الملك، فكل فعل له مراد، وكل إرادة له نافذة واقعة لا محالة.

obeikandl.com

اللّه

يرزق من يشاء بغير حساب، فإذا الدنيا تنهمرعلى مَن رزقه، والمال يغمره من كل جانب؛ ليبين سبحانه للناس سعة جوده، وعظم كرمه.

ويَقْدر الرزق على من يشاء، فمنهم من لا يجد إلا كسرة، ولا ينام إلا على صخرة؛ ليثبت سبحانه للخليقة حكمه في المنع، فهو أعلم بالشكور والكفور، والمعترف والجاحد، ومن يزيده عُجبًا وضغينةً فيمنعه، ومن يدفعه الفقر إلى الكفر فيعطيه، إذا شككت في حكمته فانظر بربك إلى الكون الرتيب العجيب تجد صنعه الغريب وإبداعه المصيب، تناسب وتناسق، إتقان وإحسان، وروعة وجمال، وبهاء وعظمة، كل شيء بحسبان، وكل شيء موزون.

المكيل علم سبحانه كيله، الموزون أحاط بوزنه، المقدور اطلع على قدره، المحدود خبر عدده.

يقول إنشتاين الذكي الألمعي: «إن من ينظر في الكون يعلم أن مبدع الكون حكيم لا يلعب بالنرد». ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً**﴾.

تجد آيته سبحانه وحكمته في **الشمس** اللامعة ما أجملها في علوها ما أبهاها في ضيائها، ما أحسنها في إشراقها، سبحان من كورها، تبارك من دوّرها، تقدس من صوّرها، تعالى من دبَّرها، ضخامة جرم، كبر جسم، ومع ذلك تجري جرياً وتسعى سعيًا، ما أحسن **الشمس** وأحسن منها صنع خالقها، ما أعظم **الشمس**، وأعظم منها قدرة صانعها.

تبدو **الشمس** سباحًا فتبدو الحياة في الكائنات، وتشرق الوجوه بالمسرَّات، ويبسم الكون كله، فالورد يزهو، والطير يشدو، والحمام يلهو والنهر يقهقه، والروض يضحك، ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾.

وتجد آيته وحكمته في **القمر**، وما أجل **القمر** في صمته، وما أبهاه في سمته، حُسْن يفوق الوصف، جمال يخلب اللُّب، بهاء يحير العقل.

يمشي **القمر** في سكون مشية ملك، وينساب في دعة انسياب نهر. **القمر** أشد شيء بياضًا إذا كان الليل أشد شيء سوادًا. **القمر** عرفه الأعرابي دليلاً له في مسارب الصحراء، وهاديًا له في منعطفات الأودية.

القمر عرفه السامر مؤنسًا، والعاشق صاحبًا، والشاعر خلاً ملهمًا، وصديقًا مؤثرًا.

إذا انكسف القمر، وأظلم وجه، واسودت طلعته، ضج أهل الأرض وبكوا، وصاحوا حتى يعود به حسنه وإشراقه وضياؤه ﴿**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾ فسبحان من أتمَّ للقمر نوره، وكمل له سروره، وعدد به أعوامه وشهوره.

الورقة تحدث عن الله لكنك لا تفهم، وتخبرك عن الحق سبحانه لكنك لا تعي، الورقة الخضراء المائسة المائلة المخضلة الندية تهتز مُسبحةً بجلال مَن صوّرها، وأحسن خلقها وأبدعها، ﴿**هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ**﴾.

قطرة الماء الصافية النقية تلمع كعين الديك رقة وعذوبة، وطهرًا وبراءة، دليل قاطع، وبرهان ساطع، على قدرة القادر جلَّ في علاه: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾.

ما أحسن **الماء** طشة ورشة، ما أغلى **الماء** فيضه وغيضه، حياة ونماء، خضرة وخصب، معيشة ومتعة، رواء وجمال، فسبحان من شكَّله بلا لون، وصوَّره بلا طعم، وهيأه بلا رائحة.

الدوردة تتقلب في الطين آية من آيات رب العالمين، تبحث عن رزقها فيرزقها، تطلب قوتها فيعطيها، أطعمها من جوع، سقاها من ظمأ، وأظلها من حر، حماها من قر، وحرسها من ضر، ومنعها من شر ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾.

الهدهد ألقى على سليمان كلمته، وأدى عنده شهادته، فنطق بالأوهية، وشهد بالربوبية، وأعلن أن من عبد غير الله كافر، وأن من وحَّد سوى الله فاجر خاسر، وذكر لطف علم الله وعظيم اطلاعه سبحانه، لأن رزق الهدهد مخبوء في الأرض، مدسوس في التراب، لا يراه البشر، ولكن الله يراه ويعلمه ﴿**أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾.

النملة تدلُّ بخلقها على الله جلَّ في علاه، وتشهد بطريقتها في جمع رزقها على بديع صنع الله، تدخر قوتها من صيفها إلى شتائها، لها مخزن من الحبوب في بيتها لا تأكله إلا في الشتاء إذا احتاجت إليه، إن خشيت على الحبةفي المخزن أن تنبت قسمتها نصفين ففصلت السالب عن الموجب لئلا تنبت، وإن بلل الماء رزقها جففته في أشعة الشمس وإن مرت بخليج ماء صغير جمعت النمل نفسها وتماسكت لتصبح جسرًا تمر من فوقه النمل، فتعالى المبدع ما أحكمه، والخالق ما أعلمه، استمع إلى النملة تنادي النمل فتحذر، وتعتذر لسليمان وتنصح وتعظ ﴿**قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**﴾.

الغراب يشهد بقدرة الملك الوهاب، انظر إليه كيف يواري أخاه في التراب، مَنْ علمه أن الميت يُدس في الثرى، من ألهمه أن القتيل يُوارى في الطين؟! إنه رب العالمين ﴿**فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ**﴾ ﴿**قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**﴾

ولو أن صخراً ينطق الحق لفظه

ويروي حديث الحب صخرٌ إذا روى

لقال: تعالى الله لا رب غيره

وهذا نشيد الصخر نرويه للورى

اللّهم أنت أحق من ذكر، وأحق من عُبد، وأنصر من ابتغي، وأرحمن من ملك، وأجود من سئل، وأوسع من أعطى، أنت **الملك** لا شريك لك، والفرد لا ندّ لك، كل شيء هالك إلا وجهك، لم تطع إلا بإذنك، ولم تعصَ إلا بعلمك، تطاع فتشكر، وتُعصى فتغفر، أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، حِلت دون النفوس، وأخذت بالنواصي، وكتبت الآثار، ونسخت الآجال، القلوب لك مفضية، والسرُّ علانية، الحلال ما أحللت، والحرام ما حرمت، والدين ما شرَّعت، والأمر ما قضيت، الخلق خلقك، والعبد عبدك، وأنت الله **الرؤوف الرحيم**، أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض، وبكل حق هو لك، أن تقيلني في هذه الغداة، وهذه العشية، وأن تجيرني من النار بقدرتك.

أحد

أحد: لا ثاني له، ولا شريك، ولا نديد، ولا شبيه، ولا مثيل، ولا كفؤ، ولا صاحبة، ولا ولدَ، ولا عضيد، ولا معقب، ولا سمي: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾، ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾، ﴿**إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾.

أحد: في ذاته، واحد في أسمائه وصفاته، واحد في أفعاله. فذاته لا تشبهها الذوات، وصفاته لا تماثلها الصفات، وأفعالها لا تضاهيها أفعال جميع الكائنات.

أحد: في قيوميته فهو لا يفنى ولا يزول، ولا يموت ولا يحول، ولا تأخذه سنة ولا نوم، لأنه **حي قيوم**، له شأن في كل يوم.

أحد: في غناه، فخزائنه لا تنفذ، وجوده لا يحد، وعطاؤه لا يرد. يداه مبسوطتان، ينفق كيف يشاء، مليئتان بالخير، سحاء الليل والنهار، كل ما أنفقه منذ أن خلق الخلائق لم ينقص من خزائنه ذرَّة.

أحد: في ربوبيه فهو **الخالق** وحده، الرازق، وحده **المدبر** وحده، **المحيي المميت** وحده، أبدع الكون وما فيه، وأنشأ الخليقة وبث الأنفس وأوجد الكائنات ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾.

أحد: في ألوهيته فلا إله إلا هو، ولا معبود بحث سواه، ولا يستحق العبادة غيره، كل إله سواه باطل، وكل مَنْ عَبَدَ غيره مفتر كذاب ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ له الملك كلّه، والحمد كلّه، والثناء كلّه، والمجد كلّه. من أشرك معه في عمل تركه وشركه لأنه **أحد**، من راءى غيره بعمل رده على صاحبه لأنه **أحد**، من قصد غيره بسعي أبطل سعيه لأنه **أحد**، من سأل أو استعان أو رجا أو رهب أو خاف غيره، أضله وأذله لأنه **أحد**، من تكبر من عبادته أخزاه، ومن أعرض عن طاعته أرداه ومن كفر بآياته أشقاه لأنه **أحد**.

OSelkanaroom

ليس في ذاته شيء م مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته لأنه **أحد**، لا تشبه الصفات صفاته، فصفاته كمال وجمال وجلال لأنه **أحد**.

أحد في أسمائه وسفاته: تُمَر كما جاءت، ويؤمَن بها كما وردت، وتُحمل على مراد من بها اتصف، وبها عند خلقه عُرف، لا يشبَّه بمخلوق به النقص والتقصير، وهو صاحب الكمال والجلال لأنه **أحد**، ولا يمثل به أحد من خلقه، فيستوي الخالق والمخلوق، والغني والفقير، والقوي والضعيف، والدائم والفاني، بل تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا لأنه أحد.

أحد: لا تؤوّل صفاته؛ لأن التأويل صرف للّفظ، وتحويل للمعنى، وانحراف عن الظاهر، وبعد عن المقصود.

وهو **أحد** لا تعطل صفاته؛ لأنه التعطيل تفريغ للنص من محتواه، وتجريد للكلام من معناه، والوصول بالأدلة إلى كونها رموز وألغاز وطلاسم وأحاجي.

وهو **أحد** متفرد بكل جميل لا مشابه ولا مشارك ولا معاون ولا مثيل، ولذلك كانت دعوة الرسل كلّهم إلى توحيده سبحانه، كل منهم يقول لقومه: ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾

فالمشرك معه غيره مخذول مدحور، ومشبهه بخلقه آثم فاجر، وممثل خلقه به معتد ثابر، ومن وحده ووصفه بما وصف به نفسه مهتد مأجور.

فالواجب توحيده سبحانه في الربوبية والألوهية، والأسماء والصفات، واعتقاد تفرده بكل صفات الرب والإله الكامل المبرأ من كل نقص، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا:

إليك وإلاَّ لا تشـــدُّ الركـــائب

ومنك وإلاَّ فـــالمؤمّل خـــائب

وفـيك وإلاَّ فـالغـرام مـضـيَّع

وعنك وإلا فـــالمحـــدِّث كـــاذب

obeikandl.com

obeikandl.com

سبحانك ما عبدناك حق عبادتك

تأمل في نبـــات الأرض وانظر

إلى آثار مـــــا صنع المليك

عـيـون من لجُين شـاخـصـات

بأحـداق هي الذهب السـبـيك

على قـضب الزبرجـد شـاهدات

بـأن الله لـيس لـه شـــــريك

الله رحيم لطيف، الله بيده الأمر والتصريف، الله أعرف المعارف، لا يحتاج إلى تعريف، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، ولا نرجو سواه عظيم السلطان والجاه، أفلح من دعاه، وسعد من رجاه، وفاز من تولاه، سبحان من خلق وهدى، ولم يخلق الخلق سدى، عظم سلطانه، ارتفع ميزانه، وجمل إحسانه، وكثر امتنانه.

إليك وإلاَّ لا تشـدُّ الركـائب

ومنك وإلاَّ فـالمؤمّل خـائب

وفـيك وإلاَّ فـالغـرام مـضـيَّع

وعنك وإلا فـالمحـدِّث كـاذب

علاَّم الغيوب، غفار الذنوب، ستار العيوب، كاشف الكروب، ميسّر الخطوب، مقدّر المكتوب، عظمت بركاته، حسنت صفاته، بهرت آياته، أعجزت بيناته، أفحمت معجزاته، جلت أسماؤه، عمت آلاؤه، امتلأت بحمده أرضه وسماؤه، كثرت نعماؤه، حسن بلاؤه، ما أحسن قيله، ما أجمل تفصيله، ما أبهى تنزيله، ما أسرع تسهيله، ليس إلا الخضوع له وسيلة، وليس لما يقضيه حيلة.

قد كنت أشفق من دمعي على بصري

فـاليـوم كل عـزيز بعـدكم هانا

والله مـا ذكـرت نفـسي مـعـاهدكم

إلا رأيت دمـــوع العين هتـــانا

يسقي ويطعم، يقضي ويحكم، ينسخ ويبرم، يقصم ويفصم، يهين ويكرم، يروي ويشبع، يصل ويقطع، يعطي ويمنع، يخفض ويرفع، يرى ويسمع، ينصر ويقمع، وليّه مأجور، والسعي إليه مبرور، والعمل له مشكور، وحزنه منصور، وعدوه مدحور، وخصمه مبتور، يسحق الطغاة، يمحق العصاة، يدمع العتاة، يمزق من آذاه.

سبحان من لو سجدنا بالجباه له

على لظى والمحـــمي من الإبرِ

لم تبلغ العشر من مقدار نعمته

ولا العشير ولو عشر من العشرِ

من انتصر به ما ذلَّ، ومن اهتدى بهداه ما ضل، ومن اتقاه ما ذل، ومن طلب غناه ما قلّ، له الكبرياء والجبروت عزّ وجلّ. تمَّ كمالُه، حسن جمالُه، تقدس جلالُه، كرمت أفعالُه، أصابت أقوالُه، نصر أولياءَه، خذل أعداءَهُ، قرّب أحباءَهُ. اطّلع فستر، علم فغفر، حلم بعد أن قدر، زاد مَن شكر، ذكرَ من ذكر، قصم من كفر.

يا ربّ أول شيء قـــالـه خلدي

أني ذكـرتك في سـري وإعـلاني

فـوالذي قـد هدى قلبي لطاعـتـه

لأُذهبن بوحي منـك أحـــزاني

لو أن الأقلام هي الشجر، والمداد هو المطر، والكتب هم البشر، ثم أثنى عليه بالمدح من شكر، لما بلغوا ذرة مما يستحقه جلَّ في علاه وقهر. أعمُر جنانك بحبه، أصلِح زمانك بقربه، أشغِل لسانك بمديحه، احفظ وقتك بتسبيحه. العزيز من حماه، المحظوظ من اجتباه، الغني من أغناه، السعيد من تولاه، المحفوظ من رعاه. أرسل الرسل، أفنى الدول، هدى السبيل، أبرم الجيل، غفر الزلل، شفى العلل، ستر الخلل.

مهما كتبنا في علاك قصائداً

بالدمع خطت أو دم الأجفان

فلأنت أعظم من مديحي كله

وأجل مما دار في الحسبان

في حبك عُذِّب بلال بن رباح، وفي سبيلك هانت الجراح لدى أبي عبيدة بن الجراح، ومن أجلك عرض مصعب صدره للرماح، ولإعلاء كلمتك قطعت يدا جعفر، وتجندل على التراب وتعفر، ومزق عكرمة في حرب بني الأصفر. أحبك حنظلة فترك عرسه، وأهدى رأسه، وقدّم نفسه، وأحبك سعد بن معاذ فاستعذب فيك البلاء، وجت منه الدماء، وشيعته الملائكة الكرماء، واهتز له العرش من فوق السماء.

وأحدك حمزة سيد الشهداء فصال في الهيجاء، ونازل الأعداء، ثم سلم روحه ثمنًا للجنة هاءَ وهاءَ. من أجلك سهرت عيون المتهجدين، وتعبت أقدام العابدين، وانحنت ظهور الساجدين، وحلقت رؤوس الحجاج والمعتمرين، وجاعت بطون الصائمين، وطارت نفوس المجاهدين.

يا ربي حمداً ليس غيرك يحمد

يا من له كل الخلائق تصمدُ

أبواب كل مملّك قـــد أوصـــدت

ورأيت بابك واســعًــا لا يوصــدُ

أقلام العلماء، تكتب في الثناء، صباح مساء. الرماح في ساحة الجهاد، والسيوف الحداد، ترفع اسمه على رؤوس الأشهاد، جل عن الأنداد والأضداد.

للساجد دوي بذكره، للطيور تغريد بشكره، وللملائكة نزول بأمره، حارت الأفكار في علو قدره، وتمام قهره.

من أجلك هاجر أبو بكر الصديق وترك عياله، ولمرضاتك أنفق أمواله وأعماله، وفي محبتك قتل الفاروق ومزق، وفي سبيلك دمه تدفق، ومن خشيتك دمعه ترقرق. ودفع عثمان أمواله لترضى، فما ترك مالاً ولا أرضًا، جعلها عندك قرضًا. وقدم عليٌّ رأسه لمرضاتك في المسجد وهو يتهجد، وفي بيتك يتعبد فما تردد.

أرواحنا يا رب فـــوق أكـــفنا

نرجــو ثوابك مــغنمًــا وجــوارا

لم نخش طاغـوتًا يحــاربنا ولو

نصب المنايا حـــولنا أســـوارا

كـنـا نـرى الأصـنـام مـن ذهـب

فنهـدمهـا ونهـدم فوقـهـا الكفـارا

تفرَّدت بالبقاء، وكتبت على غيرك الفناء، لك العزة والكبرياء، ولك أجل الصفات، وأحسن الأسماء. أنت عالم الغيب، البريء من كل عيب، تكتب المقدور، وتعلم ما في الصدور، وتبعثر مافي القبور، وأنت الحاكم يوم النشور. ملكك عظيم، جنابك كريم، نهجك قويم، أخذك أليم، وأنت الرحيم الحليم الكريم.

من الذي سألك فما أعطيته، والذي دعاك فما لبيته، ومن الذي استنصرك فما نصرته، ومن الذي حاربك فما خذلته. لا عيب في أسمائك لأنها حسنى، لا نقص في صفاتك لأنها عليا. حي لا تموت، حاضر لا تفوت، لا تحتاج إلى القوت، لك الكبرياء والجبروت، والعزة والملكوت.

لو أن أنفاس العباد قصائد

حفلت بمدحك في جلال علاكا

ما أدركت ماتستحق وقصّت

عن مجدك الأسما وحسن سناكا

كسرت ظهور الأكاسرة، قصّرت آمال القياصرة، هدَّمت معاقل الجبابرة، وأرديتهم في الحفرة. من أطاعك أكرمته، من خالفك أدّبته، عاداك سحقته، من نادّك محقته، من صادّك مزقته.

تصمد إليك الكائنات، تعنو إليك المخلوقات، تجيب الدعوات بشتى اللغات، وبمختلف اللهجات، على تعدد الحاجات، تفرج الكربات، تظهر الآيات، تعلم النيات، وتظهر الخفيات، نحيي الأموات. دعاك الخليك وقد وضع في المنجنيق، وأوشك على الحريق، ولم يجد لسواك طريق، فلما قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، صارت النار عليه برداً وسلامًا في ظل ظليل، بقدرتك يا جليل. وفلقت البحر للكليم، وقد فر من فرعون الأثيم، فمهدت له في الماء الطريق المستقيم. ودعاك المختار في الغار، لما أحاط به الكفار، فحميته من الأشرار، وحفظته من الفجار، قريب تجيب كل حبيب.

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما

أنت القوي الواحد القهار

ما خاب من يرجوك عند ملمّةٍ

صمدت إليك البدو والحضار

لو أن الثناء، لرب الأرض والسماء، كتب بدماء الأولياء على خدود الأحياء، لقرأت في تلك الخدود، صحائف من مدح المعبود، صاحب الجود، بلا حدود.

ألسنة الخلق أقلام الحق، فما لها لا تنطق بالصدق، وتوحده بذاك النطق. لا تمن عليه دمعة في محراب، فقد مزق من أجله عمر بن الخطاب، ما لك إلى عبادتك الزهيدة تشير، وقد نشر الأولياء في حبه بالمناشير.

فاز بلال لأنه ردد أحد أحد، ودخل رجل الجنة لأنه أحب قل هو الله أحد، ومدح سبحانه نفسه فقال: ﴿**اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾ ورد على المشركين فقال: ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾.

سبحان من تحدى بالذباب المشركين، وضرب العنكبوت مثلاً للضالين، وذكر خلقه للبعوض إزراءً بالكافرين، وحمل الهدهد رسالة التوحيد فجاء بخبر يقين، خلق الأبرار والجار، والمسلمين والكفار، والليل والنهار، والجنة والنار، وأنزل كل شيء بمقدار. في القرآن برهانه، في الكائنات امتنانه، للمؤمنين إحسانه، في الجنة رضوانه، عمَّ الكون سلطانه، اللّهم ياذا العرش المجيد، أن المبدئ والمعيد، أنت الفعال لما تريد، أنت ذو البطش الشديد، لا ضدَّ لك ولا نديد، كوّرت الليل والنهار، وجعلت النور في الأبصار، وحببت العبادة إلى الأبرار، أنت الملك الجبار، والقوي القهار، والعزيز الغفار، أسألك بالأسماء التي بالسمو معروفة، وأسألك بالصفات التي هي بالمجد موصوفة.

عن كل عيب تنزهتَ، وعن كل نقص تقدست، وعلى كل حال تباركت، وعن

كل شين تعاليت، منك الإمداد[1]، ومن لدنك الإرشاد، ومن عندك الاستعداد، وعليك الاعتماد، وإليك يلجأ العباد، في النوازل الشداد، حبوت الكائنات رحمةً وفضلاً، ووسعت المخلوقات حكمةً وعدلاً، لا يكون إلا ما تريد، تُشكر فتزيد، وتُكفر فتبيد، تفردت بالملك فقهرت، وتوحدت بالربوبية فقدرت، تزيد من شكوك، وتذكر من ذكرك، وتمحق من كفرك، حارت في حكمتك العقول، وصارت من بديع صنعك في ذهول، أدهشت بعجائب خلقك الألباب، وأذهلت الخلائق بالحكم والأسباب، باب جود عطائك مفتوح، ونوالك لمن أطاعك وعصاك ممنوح، وهباتك لكل كائن تغدور وتروح. لك السؤدد، فمن ساد فبحمدك يسود، وعندك الخزائن فمن جاد فمِن جودك يجود، صمت أنت فإليك الخلا"ئق تصمد، مقصود أنت فإليك القلوب تقصد، تغلق الأبواب عن الطالبين إلا بابك، ويسدل كل حجاب عن الراغبين إلا حجابك، خصصت نفسك بالبقاء فأهلكت من سواك، وأفردت نفسك بالملك فأهلكت من عداك، لا نعبد إلا إياك، ولا نهتدي إلا بهداك، أقمت الحجة فليس لمعترض كلام، وأوضحت المحجبة فليس لضال إمام. شرعت الشرائع فكانت لك الحجة البالغة على الضلال، وبينت السنن فما حاد عنها إلا الجهال، ونوَّعت العقوبة لمن عصاك، وغايرت بين النكال لمن عاداك، جعلت أسباب حياته مماته، علة إنطاقه إسكاته، أحييت بالماء وبه قتلت، وأنعشت الأرواح بالهواء وبه أمت، أشهد أنك متوحد بالربوبية، متفرد بالألوهية، أنت الملك الحق المبين، وأنت إله العالمين، وكنف المستضعفين، وأمل المساكين، وقاصم الجبارين، وقامع المستكبرين.

ولما جعلت التوحيد شعاري، مدحت ربي بأشعاري، فقلت في مدح الباري:

(١) أما القبوريون فهم عاكفون على قبور من يسمونهم بالأولياء، مرددين: مدد.. مدد! نسأل الله العافية من هذا الشرك.

هذا أريج الزهر من بستانه

شعر كأن الفجر في أجفانه

السحر من إخوانه والحب من

أخدانه والحسن من أعوانه

أنا ما رويت الشعر من روما

وما رتلت آي الحسن من لبنانه

كلا وما ساجلت من عمران

أو حطان أو مجنون أو قبَّانه

دع لامرئ القيس القويّ ضلاله

يلقي "قفا نيك" على شيطانه

ضل الهداية شكسبير فما روى

إلا نزيف الوهم من هذيانه

لما دعوت الشعر جاء ملبيًا

يسقي كؤوس الشعر من جِسّانه

فعففت عن مدح الأنام ترفعًا

لا تمدحن العبد في طغيانه

لا سيف ذي يزن يتوج مدحتي

أو شكر نابغة على ذبيانه

أو عاد أو شداد أو ذو منصب

يُنمي إلى عدنان أو قحطانه

ملك الملوك قصدته ومدحته

فتراكض الإبداع في ميدانه

والله لو أن السماء صحيفة

والمزن يمطرها على إبانه

والدرح أقلام وقد كتب الورى

مدح المهيمن في جلاله شانه

لم يبلغوا ما يستحق وقصورا

وزن الهباءة ضاء في ميزانه

لو تستجير الشمس فيه من الدجى

لغدا الدجى والفجر من أكفانه

أو شاء منع البدر في أفلاكه

عن سيره لم يسرِ في حسبانه

حتى الحجارة فجرت من خوفه

والصخر خر له على أذقانه

وتصدعت صم الجبال لبأسه

والطلع خوفًا شق من عيدانه

وتفتح الزهر الندي بصنعه

يزهو مع التسبيح في بستانه

والحوت قدسه بأجمل نغمةٍ

لغة تبرز الحسن من سحبانه

حتى الضفادع في الغدير ترنمت

بقصائد التقديس في غدرانه

هذي النجوم عرائس في محفل

تملي حديث الحب في سلطانه

obeikandl.com

يا مسرح الأحباب ضيعت الهوى

وضللت يا ابن الطين عن عنوانه

مجنون ليلى ما اهتدى لرحابه

متهتكًا عبثًا مع مجانه

أو ما قرأ عنه وثيقة عهده

فيها حديث الصدق من قرآنه

الشمس تسجد تحت عرش إلهنا

والبدر رمز الحسن في أكوانه

والهدهد احتمل الرسالة غاضبًا

يدعو إلى التوحيد من إيمانه

غضبًا على بلقيس تعبد شمسها

فسعى لنسف الملك من أركانه

لولاه نوح ما نجا يوم الردى

في فلكه المشحون من طوفانه

لما دعاه يونسُ لبّاه في

قاع البحار يضج في حيتانه

اللّهم صلّ وسلم على نبيك خاتم المرسلين، ورسول الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

obeikandl.com

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾

التوحيد، هو حق الله على العبيد، وهو أول ما دعا إليه الرسل، وبه كل كتاب نزل، وهو أصل الأصول، والطريق للوصول، وبه عرف المعبود، وعمر الوجود، ولأجله أعدت الجنة والنار، وسل السيف البتار، وقوتل الكفار، ولإقامته في الأرض دعت الأنبياء، وعلَّمت العلماء، وقتل الشهداء، وهو أول مطلوب، وأعظم محبوب، وهو أشرف المقاصد، وأعذب الموارد، وأجل الأعمال، وأحسن الأقوال، وهو أول الأبواب، وبداية الكتاب، وأعظم القضايا، وأهم الوصايا، وخير زاد، يحمله العباد، ليوم التناد، وهو قرة عيون الموحدين، وبهجة صدور العابدين، وهو غاية الآمال، وأنبل الخصال، بل هو أعظم الكفارات، وأرفع الدرجات، وأكبر الحسنات، وهو منشور الولاية، وتاج الرعاية، والبداية والنهاية، وهو الإكسير الذي إذا وضع على جبال الخطايا أصبحت تذوب، وصارت حسنات بعد أن كانت من الذنوب.

وعلى هذا حديث: «**يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم جئتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»(١).

وهو الذي هزَّ في طرفة عين قلوب السحرة، فقالوا بعزم ماض: ﴿ **فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ** ﴾، والمرأة التي سقت الكلب، فغفر لها الذنب، كان معها توحيد الرَّب، والرجل الذي قتل مائة رجل، وذهب إلى القرية على عجل، فأدركه الأجل، غفر له بالتوحيد عزّ وجلّ. والتوحيد كنز جليل، في قلب الخليل، فقال لما شاهد الكرب الثقيل: حسبنا الله ونعم الوكيل.

ولما قال الصدّيق في الغار، لسيد الأبرار: لو نظر أحدهما لرآنا ولسمعنا،

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٥٤٠)، وانظر: «المشكاة» برقم (٢٣٣٦).

قال: ﴿ **لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾، إنما قال ذلك بلسان الموحد، وقد سُدِّد بتوفيق الله وأُيِّد.

وما فلق الله البحر للكليم، إلا لأنه صاحب توحيد عظيم، ونهج كريم، ولو وضعت السماوات والأرض في كفة الميزان، **ولا إله إلا الله** في كفة لكان لها الرجحان، ولو كانت في حلقة حديد لفصمتها، وفي صخرة لفجّرتها، **ولا إله إلا الله** مفتاح الجنان، وله أسنان، من الواجبات والأركان، وصاحبها لا يخلد في النار، ولا يلحق بالكفار، وقد قالوا لأحد العلماء وقد سجن، وفي سبيل هذه الكلمة ذاق المحن: قل كلمة التوحيد، قال: من أجهلا وضعت في الحديد، وقالوا لأحد الأولياء وقد رفع على خشبة الموت، وقرب منه الفوت، قل: **لا إله إلا الله** ولا تغفل، قال: من أجلها أُقتل.

وسمع أحد الصالحين رجلاً يقول: **لا إله إلا الله** ومدَّ بها صوته فبكى، وقال:

وإني لتعـــروني لذكـــراك هزة

كما انتفض العصفور بلّله القطرُ

وسمع أحد العلماء رجلاً يقول: **لا إله إلا الله**، قال: صدقت وبالحق نطقت.

فيا أيها العباد خذوا من التوحيد قطرة، وصعوه على الفطرة، وولّوا جوهكم شطره. ويا من أثقله الهم، وأحاط به الغم، وهزَّه الألم الجم، قل: **لا إله إلا الله**.

ويا من أثقلته الديون، أو غيبته الشجون، وبات وهو محزون، قل: **لا إله إلا الله**.

ويا من اشتد به الكرب، وعلا الخطب، اذكر الرب، وقل : **لا إله إلا الله.**

هي أجـــمل الكلمـــات قلهـــا

كلما ضجّ الفؤاد وضاقت الأزمان

اقرأها بعين الروح، قبل أن تقرأها بعينك في اللوح، واكتبها في سويداء قلبك، لتحملها إلى ربك، وتتخلص من ذنبك.

لما قيل لفرعون، قل: **لا إله إلا الله**، تلعثم الحمار وتعثر، فدسَّ أنفه في الطين وتدثَّر. وقيل لأبي لهب قل: **لا إله إلا الله**، قال الخسيس: أبي عليّ الجليس، والأخ الرئيس، إبليس. تقيأ شاعر البعث المخذول، ليقول:

آمنت بالبعث ربّاً لا شريك له

وبالعـــروبة دينًا مـــا له ثاني

قلنا: يا شاعر البعث، وعزة ربي ليخزينك يوم البعث. يا شاعر الخمر والحشيشة، قد أرغم أنفك أبو ريشة، فقال:

أمـــتي كم صنم مـــجـــدته

لم يكن يحـــمل طهـــر الصنم

من يأخذ تعاليمه من باريس، حشر مع شيخة إبليس.

يا مسكين، تتعلم حروف الهجاء من بكين، وتهجر رسالة نزل بها الروح الأمي، على سيد المرسلين، من رب العالمين.

يرضع الوليد حليب التوحيد، حتى يأتيه الحليب الصناعي من مدريد، ليرتد المريد.

صوت التوحيد يرتفع على كل صوت، وقوته خير من كل قوت، لخَّصه أبو

بكر فقال: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

لولا أن كلمة أَحد، في قلب بلال مثل جبل أُحد، ما صمد.

التوحيد له كتاب، وله قلم جذّاب، ومداد جميل، وكتاب جليل، فكتابه الكون وما فيه، وقلمه قلبه النبيه، ومداده دمعك المترقرق، والكتاب إيمانك المتدفق.

التوحيد له رسالة أبدية، ودعوة سرمدية، ولأصحابه إلى مستقرهم ممر، وبعد مرورهم مستقر. فرسالة التوحيد إفراد الباري بالألوهية، والربوبية، ودعوته اتباع سيد البشرية، ورسوله الإنسانية، وممر أصحابه الصراط المستقيم، ومستقرهم جنات النعيم.

للتوحيد **منبر، ومخبر ومظهر، ومسك وعنبر.**

فمنبره: القلب إذا أخلص للرب، **ومخبره:** النيات الصالحات، **ومظهره:** عمل بالأركان، وخدمة للديان، ومسكه: الدعاء والأذكار، **وعنبره:** التوبة والاستغفار.

للتوحيد عين وبستان، وحرس وسلطان، وسيف وميدان.

فعينه: النصوص الواضحة، وبستانه: الأعمال الصالح، وحرسه: الخوف والرجاء، وسلطانه: واعظ الله في القلب صباح مساء، وسيفه: الجهاد، وميدانه: حركات العباد.

وللتوحيد: **قضاة وشهود، وأعلام وجنود، وحدود وقيود.**

فقضاته: الرسل الكرام، وشهوه: العلماء الأعلام، **وأعلامه:** شعائر الدين، **وجنوده:** فيلق من الموحدين، **وحدوده:** ما جاء به الخبر، وصح به الأثر، **وقيوده:** ما ورد من شروط للتوحيد المضبوط.

من دعائم التوحيد، عدم صرف شيء من العبادة لغير المعبود، وتحريم تقديم شيء من لوازم الألوهية لغير الله مما في الوجود، وركيزته إخلاص ليس فيه رياء، وعلامته إخبات ليس معه ادعاء.

فلا تُعبد النجوم، ولكن يُعبد مُركبها، ولا تعبد الكواكب، بل يعبد مكوكبها، ولا يُؤلّه حجر، ولا بشر، ولا شجر، ولا مدر، بل يؤلّه مَنْ فجر من الحجر الماء وأوجد الأحياء، وخلق الشجر كأنها أصابع الأولياء فسبحان رب الأرض والسماء.

الوحي هزَّ أبا جهل هزّاً، لأنه يتهزّى، وسجد للات والعزّى. قاتل الله هُبَل، ومن طاف حوله ورمل، أو نذر له أيّ عمل، يا من خاف على نفسه من الحريق، والدمار والتمزيق، احذر من الشرك: ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾. إذا أخلصت التوحيد جاءك النصر، وادَّخر لك الأجر، ومحا عنك الوزر.

سمع أحد العباد قرئًا يتلو: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾، فقال: أواه، وارتفع بكاه. وكان أحد الملوك الصالحين، يسمع أحد القراء يقرأ بتلحين: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ فجلس يبكي ويقول: وأنا أشهد مع الشاهدين.

قال أبو معاذ الرازي: لو تكلمت الأحجار، ونطقت الأشجار، وخطبت الأطيار، لقالت: لا إله إلا الله الملك القهار. ولما قال فرعون اللعين: ﴿**قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ**﴾ قال ﴿**رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ**﴾ فكأنما لكمه بالجواب، ولطمه بالخطاب. ولما قال إمام التوحيد للنمرود العنيد: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ بُهت وكُذّب، وخسر وعُذّب، وهذا لظهور آيات التوحيد وقوة سلطانه، وعزّة أهله وأعوانه، وقد أمهر يحيى بن زكريا التوحيد رأسه، وقدم حمزة لما

غمره من نور التوحيد رأسه، ولما ذاقه جعفر، تقطع وبالرمل تعفر، وذبح الخلفاء على بساطه، وضرب الأئمة على التوحيد بأيدي الظلم وسياطه، ونحر الشهداء على فراش التوحيد وبلاطه، وكم من موحد وضع في الزنزانة، لما أعلن إيمانه.

ولما نطق حبيب بن زيد، بكلمة التوحيد، عند مسيلمة الكذاب العنيد، قطّعه بالسيف فما أَنَّ، ولا قال له تأنّ، بل اشتاق إلى الجنة وحنّ، ولما ذهبوا بعدالله بن حذافة إلى القدور، والجثث فيها تدور، والتوحيد في قلبه يمور، بكى وقال: يا ليت لي بعدد شعر رأسي أرواح، لتذوق القتل في سبيل الله والجراح.

وضُرب طلحة يوم أحد بالسيوف والرماح، فما شكى ولا صاح، حتى سال بالدم جبينه، وشُلّت يمينه، ويبقى دينه، لأن التوحيد قرينه. وقاتل مصعب قتال الأسود، حتى وسّد اللحود، لأنه وحّد المعبود. ولما حضر عبدالله بن جحش معركة أحد، دعا واجتهد، بكلام يبقى إلى الأبد، فقال: اللّهم هيىء لي عدوًا لك شديد حرده، قوي بأسه فيقتلني فيك فيجدع أنفي، ويبقر بطني، يفقأ عيني، ويقطع أذني، فإذا لقيتك يا رب فقلت لي: يا عبدالله لم فعل بك هذا؟ قلت: فيك يا رب[1]. فهل سمعت نشيدًا كهذا النشيد؟! وهل أطربك قصيدًا كهذا القصيد؟! لأنه من ديوان التوحيد.

وضع أحدُ الظلمة أحدَ الأولياء، بين يدي الأسد ليتركه أشلاء، شمّه الأسد ثم تركه وذهب، قيل للولي: لماذا تركك؟ قال: بسبب التوحيد وهو أعظم سبب، قالوا: فماذا كنت تفكر؟ قال: كنت أفكر في سؤر الأسد هل هو طاهر أم نجس يطهر.

---

(١) قصة عبدالله بن جحش أخرجها أبو نعيم في «الحلية» (١/١٠٩)، والبيهقي في «الكبرى» برقم (١٢٥٤٩)، وانظر: «سير أعلام النبلاء» (١/١١٢)، و«الإصابة» (٤/٣٦).

واعلم أن صدق التوحيد أقام بعض الأولياء، في الليلة الظلماء، في ذروة الشتاء، يتوضأ بالماء، ويقطع الليل بالصلاة والدعاء، والمناجاة والبكاء، وحرارة التوحيد أيقظت في الصالحين، ذكر الله كل حين، فلهم بالتسبيح زجل وحنين، وعزيمة التوحيد دفعت المنفقين، وجعلتهم بأموالهم متصدقين، على الفقراء والمساكين.

إذا ناداك نوح التوحيد، وقال: اركب معنا أيها العبد الرشيد، فلا تفوتك سفينة الحميد المجيد. وَجَدَ إبراهيم بن أدهم ورقة مكتوب فيها: الله، وقد سقطت في الطريق فبكى وحملها، وطهرها وطيبها، فطهر الله نفسه، وطيّب اسمه، وقد أوصى ﷺ معاذ بن جبل، أن يكون أول ما يدعو إليه توحيد الله عزّ وجلّ[1]. كان يبدأ بالتوحيد خطبه، ويخط به كتبه، ويدعو إليه ليلاً ونهارًا، وسرًا وجهارًا.

(١) كما جاء في الحديث عندما أرسله إلى اليمن عند البخاري برقم (١٣٩٥، ١٤٥٨، ١٤٩٦)، ومسلم برقم (١٩)، وأحمد برقم (٢٠٧٢)، وأبو داود برقم (١٥٨٤) وغيرهم.

openkandl.com

obeikandl.com

وا ذنباه

ولما قسا قلبي وضاقتْ مذاهبي

جعلتُ الرجا ربي لعفوك سُلَّما

تعاظمني ذنبي فلما قرنتُه

بعفوك ربي صار عفوك أَعْظَما

يا باغي الخير أقبل، فالباب غير مقفل، يا من أذنب وعصى، وأخطأ وعتى، تعال فلعل وعسى، يا من بقلبه من الذنوب جروح، تعال فالباب مفتوح، والكرم يغدو ويروح، يا من ركب مطايا الخياطا، تعال إلى ميدان العطايا، يا من اقترفوا فاعترفوا، لا تنسوا ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ يا من بذنب باء، وقد أساء، تذكر: «**يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء**»[1].

أسقت بَغِيٌ كلبًا، فأرضت ربّاً، ومحت ذنبًا. قتل رجل مائة رجل، ثم تاب إلى الله عز وجلّ، فدخل الجنة على عجل.

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه

من جود فضلك ما علمتني الطلبا

من الذي ما أساء قط، ومن له الحسنى فقط، ومن هو الذي ما سقط، وأين هو الذي ما غلط، يا كثير الأخطاء: أنسيت: كلكم خطّاء، كم يقتلك القنوط كم، وأنت تسمع: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم**»[2].

اطرق البـــاب تجـــدنا عنده

بســـخـــاء وببـــذل وكـــرم

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٥٤٠)، وانظر «المشكاة» برقم (٢٣٣٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩)، وأحمد برقم (٨٠٢١).

لا تقل قـــد أُغلق البـــاب فـــلا

تحـمل اليـأس فـتلـقى في النـدم

إذا أذنبت فتب وتندم، فقد سبقك بالذنب أبوك آدم، ومن يشابه أبه فما ظلم، وتلك شنشنة نعرفها من أخزم، فلا تقلد أباك في الذنب وتترك المتاب، فإن أباك لما أذنب أناب، بنص الكتاب.

أصبحت وجوه التائبين مسفرة، لما سمعوا نداء: «**لو أتيتني بقراب الأرض خطايا لأتيتك بقرابها مغفرة**»[1]، اطرح نفسك على عتبة الباب، ومد يدك وقل: يا وهّاب. أرغم أنفك بالطين وناد: رحمتك أرجوا يا ربّ العالمين.

إن جـــرى بيننـا وبينك عـــتب

وبعـــــــدنـا وشط عنًّـا المـزار

فـــالقلوب التي عـــرفت تلظّى

والدمـــوع التي عـــهـــدت غـــزار

يا من أساء وظلم، أعلم أن دمعة ندم، تزيل أثر زلة القدم. أنت تتعامل مع من عرض التوبة على الكفار، وفتح طريق الرجعة أمام الفجّار، وأمهل بكرمه الأشرار. أنزل بالعفو كتبه، وسبقت رحمته غضبه.

والله مـــا لمحت عـــيني منـازلكم

إلا توقـد جمـر الشـوق في خلدي

ولا تـذكـــــــرت مـــــــعـنـاكم

إلا كـأن فـؤادي طار مـن جسـدي

اسمه التوّاب، ولم لم تذنب لما عرف هذا الوصف في الكتاب، لأن الوصف

(١) هذا حديث الترمذي الذي سبق في ص: ٤٦

لا بد له من فعل حتى يوصف بالصواب. ما تدري بالذنب محي العجب، وبالاستغفار حصل الانكسار لكأس الاستكبار، وصار الانحدار لجدار الإصرار.

لا تصر، بل اعترف وقر، فإن طعم الدواء مُر، وسوف تجد ما يسر ولا يضر، واحذر الشيطان فإنه يغر.

اطرق البـــاب فـــإنا فـــاتحـــون

لا تغـــيـــــرك على الصـــحب

الاعتراف بالاقتراف، طبيعة الأشراف، وقف بالباب وقل: أذنبنا، وطف بتلك الديار وقل: تبنا، وارفع يديك وقل: أنبنا، ﴿**أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾، سبحان من يغفر الذنب لمن أخطأ، ويقبل التوبة ممن أبطأ.

التوبة تَجُبُّ ما قبلها، وتعم بركتها أهلها، يقول عليه الصلاة والسلام: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[1]، وهذا قول يجب أن نقبله، فهنيئًا لمن تاب وأناب، قبل أن يغلق الباب. التائب سريع الرجعة، غزير الدمعة، منكسر الفؤاد، لرب العباد، دائم الإنصات، كثير الإخبات.

للتائب فرحتان، ودمعتان، وبسمتان.

فرحة يوم ترك الذنب، **والأخرى** إذا لقي الرَّب، **ودمعة** إذا ذكر ما مضى، والثانية إذا تأمل كيف ذهب عمره وانقضى، **وبسمة** يوم ذكر فضل الله عليه بالتوبة، وهي أجلَّ نعمة، **والأخرى** يوم صرف عنه الذنب وهو أفظع نقمة.

بشرى لمن عفّر جبينه، وأعلى في قلبه أنينه، وأضرم بالشوق جنينه، والتائب تبدل سيئاته حسناته، لأن ما فات مات، والصالحات تمحو الخطيئات.

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٥٠)، والطبراني في «الكبير» برقم (١٠٢٨١)، والبيهقي في «الكبير» برقم (٢٠٣٤٨)، وانظر: «المشكاة» برقم ٢٣٦٣).

للتوبة أسرار، ولأصحابها أخبار، فالتائب يزول عنه تصيد المعائب، وطلب المثالب، لأنه ذاق مرارة ما تقدّم، فهو دائمًا يتندّم، وهو يفتح باب المعاذير، لمن وقع في المحاذير، ولا يفعل فعل المعجب المنّان، الذي قال: والله لا يغفر الله لفلان، بل يستغفر لمن أساء من العباد، ويطلب الهداية لأهل الفساد، والتائب يطالع حكمة الرَّب، في تقدير الذنب، وأنه لا حول للعبد ولا قوّة، في منع نفسه من الوقوع في تلك الهوّة، فالله غالب على أمره، بعزته وقهره، والتائب ذهبت عن نفسه صولة الطاعات، والدعاوى الطويلات، والتبجح على أهل المعاصي، وأصبح ذليلاً لمن أخذ بالنواصي، فإن بعض الناس إذا لم يقع في زلّة، ولم يذق طعم الذلة، جمحت به نفسه الأمّارة، حتى جاوز أطواره، فكلما ذكر له عاص تأنّف، وكلما سمع بمذنب تأسّف، وكأنه عبد معصوم، في حياته غيرملوم، يحاسب الناس على زلاَّتهم، ويأخذ بعثراتهم، فإذا أراد الله تقويمه، ليسك الطريق المستقيمة، ابتلاه بذنب لينكسر لربه، وأرداه بضعف قوته ليعترف بذنبه، فيصبح يدعو للمذنبين، ويحب التائبين، ويبغض المتكبرين.

ومنها: أن كأس الندم يتجرعه جرعة جرعة، مع انحدار دموع الأسف دمعة دمعة، حينما ينال الولاية، ويدرك الرعاية، لأنه عرف سر العبودية، ودخل باب الشريعة المحمديّة، فإن ذل العبد مقصود، وتواضعه محمود، لصاحب الكبرياء المعبود.

ومنها: أنه يشتغل بالاستغفار، عن الاستكبار، فهو دائم الفكر في تقصيره، مشتغلاً به عن غروره، لأن بعض الناس لايرى إلا إحسانه، ولا يشاهد إلا صلاحه وإيمانه، حتى كأنه يمنّ على مولاه، بطاعته وتقواه، بخلاف من طار من خوف العاقبة لبُّه، وتشعب بالندم قلبه، فهو كثير الحسرات، على ما مضى وفات، وهذا هو حال من عرف العبادة، وسلك طريق السعادة.

واعلم أن لوم النفس على التقصير، والنظر إليها بعين التحقير، والإزراء عليها في جانب مولاها، وعدم الرضا عنها لما فعله هواها، يقطع من مسافات السير، إلى اللطيف الخبير، ما لا يقطعه الصيام ولا القيام، ولا الطواف بالبيت الحرام، فهنيئًا لمن على ذنبه يتحرق، وقلبه يكاد من الأسف يتمزّق، ودمعه على ما فرّط يترقرق.

وقفنا على الأبواب نزجي دموعنا

ونبعث شوقًا طالما ضجَّ صاحبه

أجمل الكلمات، وأحسن العبارات لدى رب الأرض والسموات، قول العبد: يا رب أذنبتُ، يا رب أسأتُ، يا رب أخطأتُ، فيكون الجواب منه سبحانه: عبدي قد غفرت وسامحت، وسترت وصفحت.

إن الملوك إذا شابت عبيدهم

في رقهم عتقوهم عتق أبرار

وأنت يا خالقي أولى بذا كرمًا

قد شبت في الرق فأعتقن من النار

عفّرِ الجبين بالطين، ونادِ: يا رب العالمين، تبنا مع التائبين، اغسل الكبائر بسبع غرفات من ماء الدموع، وعفرها الثامنة بتراب المتاب، فهذا فعل من أناب، حتى يفتح لك الباب. تأوّه المذنبين التائبين، أَحَبُّ مِن تسبيح المعجبين، مَن قضى ليله وهو نائم، وأصبح وهو نادم، أَحَبُّ ممن قضاه وهو مسبّح مكبّر، وأصبح وهو معجب متكبّر.

إذا أردت القدوم عليه، توسل برحمته وفضله إليه، ولا تمنن بطاعتك لديه، لا تيأس من فتح الباب، ورفع الحجاب، فأدم الوقوف عنده واخطب وده، فإن

من قصده لن يرده. ما أحوجك للجليل، في آخر ساعة ن الليل، لأنها ساعة الهبات، والأعطيات والنفحات، إمام الموحدين يقول: ﴿**وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**﴾ فجعل غاية مناه، أن تغفر خطاياه، وأنت تُصرّ، ولا تُقرّ، وتحسو كأس الذنب وهو مُرّ، فأفق من سبات اللهو ولا تكن من الغافلين، وأكثر من ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾.

obeikandl.com

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ﴾

لقد لامني عند القبور على البكا
رفيقي لتذراف الدموع السوافكِ
أمن أجل قبرٍ بالملا أنت نائح
على كل قبرٍ أو على كل هالكِ
فقال: أتبكي كل قبرٍ رأيتهُ
لقبرٍ ثوى بين اللّوى فالدّكادكِ
فقلتُ له: إن الشَّجا يبعث الشُّجا
دعوني، فهذا كله قبرُ مالكِ

الموت هادم اللَّذات، ومفرق الجماعات، ميتم البنين والبنات، مخرب الديار العامرات، أسقى النفوس، مرارة الكؤوس، وأنزل التيجان من على الرؤوس، نقل أهل القصور إلى القبور، وسلّ على الأحياء سيفه المنشور، ألصق الخدود باللحود، وساوى بين السيِّد والمسود، زار الرسل والأنبياء، وأخذ الأذكياء والأغبياء، فاجأ أهل الأفراح بالأتراح، ونادى فيهم الرواح الرواح، كم من وجه بكفه لطمه، وكم من رأس بفأسه حطّمه، يأخذ الطفل وفمه في ثدي أمِّه، يخنق النائم ورأسه على كمِّه، ينزل الفارس من على ظهر الفرس، ويقتلع الغارس وما غرس، يخلع الوزير من الوزارة، ويحطّ الأمير من الإمارة، إذا اكتمل الشاب، وماس في الثياب، وصار قوي الجناب، يُرجى ويُهاب، عفَّر أنفه في التراب، يدوس ذا البأس الشديد، والرأي السديد، ويبطح كل بطل صنديد، ولو كان خالد بن الوليد، أو هارون الرشيد، يسحب الملوك من العروش، ويُركب الجيوش على النعوش، أسكت خطباء المنابر، وأذهل حملة المحابر، وشتت أهل الدفاتر، وطرح الأحياء في المقابر، كسر ظهور الأكاسرة، قصّر آمال القياصرة،

obeikandi.com

زلزل أساس ساسان، وما سلم سليمان، وما نجا منه قحطان وعدنان، صبّح عادًا وثمود، وخرهب دار شداد وما شاد، وهدم إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، لا يترك السلاطين، حتى يوسدهم الطين، لا تظن إنك منه ناج، ولو سكنت الأبراج.

الموت ينادي كل صباح: الرواح الرواح، ويصيح كل مساء: يا حسرة على الأحياء، ويقول للناس: لِدوا للموت وابنوا للخراب، فكلكم يصير إلى ذهاب، يا من أعجبه شبابه، وألهته ثيابه، وأحاط به حرسُه وحجابُه، أنسيتَ الموت وقد وصلك ركابُه، يا من أشغله السكن، وحب الوطن، وأمن المحن، كأنك بالموت زارك، وهدم دارك.

ستنقلك المنايا عن ديارك

ويبدلك البِلا داراً بدارك

فدود القبر في عينيك يرعى

وترعى عين غيرك في ديارك

الموت كأس يدور على الأحياء، لا بد أن يشربه أبناء حواء، الموت ليس له موعد مناسب، فهو يأتي القاعد والماشي والراكب، في ليلة الزفاف، إذا اجتمع الأضياف، يقدم الموت بحشوده، ويهجم بجنوده، يأخذ العريس أو العروس، لأن مهمته قطف النفوس، يهنّأ الإنسان بالإمارة، ويبارك له بالوزارة، ثم يشنّ عليه الموت الغارة.

يولد المولود، ويعود المفقود، ثم يفجأُ الموت الجميع بروعته، فتمتزج بسمة المحب بدمعته، يكتمل الاجتماع، ،يلتقي الأحباب من كل البقاع، فإذا تمت السعادة، وكُلٌّ قد: بلغ ما أراده، وصل الموت ففرق الجمع، وأسبل الدمع.

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب

متى خُطّ ذا عن نعشه ذاك يركب

نؤمل آمالاً ونرجو نتاجها

وعلّ الردى مما نرجيه أقرب

وقف أحد الصالحين على المقابر، ودمعه يتناثر، فقال: يا موت ماذا فعلت بالأحباب؟ ثم أجاب نفسه بنفسه، فقال: يقول الموت: أكلت الحدقتين، وأفنيت العينين، ونهشت الشفتين، وقطعت الأذنين، وفصلت الكفين من الرسغين، والرسغين من الساعدين، والساعدين من العضدين، والعضدين من الكتفين، وفصلت القدمين من الكعبين، والكعبين من الساقين، والساقين من الفخذين، والفخذين من الوركين.

أتيت القبور فناديتها

أين المعظّم والمحتقر

تفانوا جميعًا فما مخبر

وماتوا جميعًا ومات الخبر

فيا سائلي عن أناس مضوا

أما لك فيما مضى معتبر

تروح وتغدو بنات الثرى

فتمحو محاسن تلك الصور

إذا رأيت قصرًا مشيدًا، وملكًا عنيدًا، وبأسًا شديدًا، فتذكر الموت، فإذا القصر تراب، والملك خراب، والبأس سراب.

إذا رأيت امرأة حسناء، أو حديقة غنّاء، أو روضة فيحاء، فتذكر الموت، فإذا الحسن مسلوب، والجمال منهوب.

obeikandl.com

فضح الموت الدنيا، فلم يدع لذي لب فرحًا، ولكن أين من صحا، وأصلح فصار مفلحًا.

بينا ترى الإنسان فيها مخبراً

ألفيته خبراً من الأخبار

طبعت على كدر وأنت تريدها

صفواً من الأقذاء والأكدارِ

ويل لمن أشغله ماله، وألهاه جماله، وصدّه عياله. متى الإفاقة يا من بحب الدنيا مخمور، وببهرجها مغرور، أما تذكر إذا بعثر ما في القبور، وحُصِّل ما في الصدور.

أين من رفرفت عليهم الرايات، ورفعت لهم العلامات، وأقيمت له الحفلات، وانعقدت لهم المهرجانات.

صاح! هذي قبورنا تملأ الرّحب

فأين القبور من عهد عاد

خفِّفِ الوطء ما أظنُّ أديم الأرضِ

إلا من هذه الأجساد

سِرْ إن اسطعت في الهواء رويداً

لا اختيالاً على رُفاتِ العبادِ

ربَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً

ضاحكٍ من تزاحم الأضدادِ

ودفينٍ على بقايا دفينٍ

في طويل الأمان والآبادِ

تعبٌ كلها الحياةُ فما أعجبُ

إلا من راغبٍ في ازدياد

إنَّ حزنًا في ساعة الموت أضاعفُ

سرورٍ في ساعة الميلادِ

أين من ولّى وعزل، وأين من ظلم وأين من عدل، وأين من سجن وجلد وقتل، أين من حفت به الجنود، واجتمعت عليه الحشود، وخفقت على رأسه البنود، أين من دارت عليه الكؤوس، وانخلعت من هيبته النفوس، وطارت بأوامره الرؤوس، أين من جمع ومنع، ووصل وقطع، واغتنى وافتقر، وهزم وانتصر؟!.

باتوا على قللِ الأجبال تحرسهم

غلب الرجال فما أغنتهم القلل

واستنزلوا بعد عز من معاقلهم

إلى مقابرهم يا بئس ما نزلوا

تلك الوجوه التي كانت محجبة

من دونها تضرب الأستار والحلل

لطالما أكلوا يومًا وكم شربوا

فأصبحوا في لحود الأرض قد

بعض السلف ذكر الموت فخارت قواه، وصاح أوّاه، وبعضهم كاد أن يطير لبّه، وأن يتفطر قلبه.

إذا رأيتَ الإخوان والجيران والخلان، **فتذكر كل من عليها فان.**

إذا أبصرت البستان والأفنان والأغصان، **فتذكر كل من عليها فان.**

إذا شاهدت القصور والدور والحبور والسرور، **فتذكر يوم يبعثر ما في القبور، ويحصل ما في الصدور.**

اللّه سمّى الموت مصيبة، وأنت عنه في غيبة، أخذ القوي والضعيف، والوضيع والشريف، والغالب والمغلوب، والسالب والمسلوب، قبر الغني جوار قبر الفقير، وقبر المأمور بجانب قبر الأمير.

الموت مباغت لا يستأذن ومهاجم لا يُؤمَن، لا يترك شابًا ليكتمل شبابه، ولا صاحبًا ليتمتع به أصحابه، ولا حبيبًا يستأنس به أحبابه، يفصل الثوب فيأخذ صاحبه قبل أن يلبس، ويبني المجلس فيختم الموت الباني قبل أن يجلس، تزف المرأة لزوجها فيهاجمه الموت ليلة الزواج، يزرع الزارع فيختلسه الموت قبل النتاج. الموت له صور وأشكال، ومشاهد وأحوال، مرة يقتل بسيف أو برمح، أو داء أو جرح، أو بعض ينبض، أو يعضو يمرض، أو بحرب هائلة، أ ومجاعة قاتلة، المهم أنه لا بد منه، ولا محيص عنه ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ**﴾ يصبّحكم أو يمسّيكم، ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ**﴾ أو دونكم جنود مؤيدة، كل شيء هالك إلا وجهه الكريم، وكل حي فانٍ إلا الحي القيوم.

الموت يسقط الطور، ويخطف الصفور، ويلتهم النسور، يصيد الموت كل عائمة، ويدرك كل هائمة، ويجتاح كل سائمة، يزحف على الحيوان، والعجماوات، والحشرات، يدخل القصور والأكواخ، ويصرع الأطفال والأشياخ، فسبحان من خلق الموت آيةً، وجعله نهايةً، وصيّره لكل حي غايةً، ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾.

زار ارسل والأنبياء، ووفد على الأصفياء والأولياء، وطاف على الحكماء والعلماء والأدباء والشعراء، فسقى الجميع بكأسه، وهشَّم الكل بفأسه، فلا

صاحب القصر نجا، ولا محب الدنيا عمّر ولو رجا، ولا الكاره له سلم منه ولو ذمّه وهجا، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾.

نعد المشرفية والعوالي
وتقتلنا المنون بلا قتالِ
ونرتبط السوابق مقربات
فما ينجين من خبب الليالي

أخرج الموت وساوس ساسان، وما سلم منه سليمان، وخرّب ما شيَّده وشاده شداد، وعاد بالكسر على عود ثمود وعاد، وحطّ قحطان، وأعدم عدنان.

الموت يفجؤ بعد العين بالأثر
فما البكاء على الأشباح والصورِ
أنهاك أنهك لا آلوك موعظة
عن نومة بين ناب الليث والظفرِ
هي المنايا وقاك الله سطوتها
دكت عروش ذي التيجان والخطرِ
ومرّغت قيصر الرومي ودولته
وألصقت خد كسرى أضيق الحفرِ
ليت المنايا رعت من كان ذا همم
وزلزلت أشبه الأحياء بالبقرِ
وليتها إذ فدتْ عمرًابخارجة
فدت عليًا بمن شاءت من البشرِ
وابن الزبير أتى بالبيت محتميًا
فمزّقته بقرب الركن والحجرِ

قد ذاقها أنبياء الله ما سلموا

من قتلها فاعتبر ما جاء في السير

دع الليالي ما الأيام تصحبنا

فالبِيضُ والسُمر مثل البيض

obeikandl.com

عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده

اشتدي أزمة تنفرجي .. قد آذن ليلك بالبلج، إذا ضاق الأمر اتسع، وإذا اشتد الحبل انقطع، وإذا شاتد الظلام بدا الفجر وسطع، سُنه ماضية، وحكمة قاضية، فلتكن نفسك راضية، بعد الظمأ ماء وظل، وبعد القحط غيث وطل، يا من بكى من ألمه ومرضه وكده، يا من بالغت الشدائد في رده وصده، عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده.

دع المقادير تجري في أعنتها

ولا تبيتن إلا خالي البالِ

ما بين غمضة عين وانتباهتها

يغير الله من حالٍ إلى حالِ

ما عرفنا لكثرة حزنك عذرك، سِّل أمرك، وأرح فكرك، أما قرأت ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾، ألا تفرح، وفي عالم الأمل تسح، وفي دنيا اليسر تمرح، وأنت تسمع ألم نشرح، يا من شكا الخطوب، وعاش وهو منكوب، ودمعه من الحزن مسكوب، في قميص يوسف دواء عيني يعقوب، وفي المغتسل البارد شفاء لمرض أيوب.

الغمرات ثم ينجلينا

ثمت يذهبن ولا يجينا

للمرض شفاء، واللعلة دواء، وللظمأ ماء، وللشدة رخاء، وبعد الضراء سراء، وبعد الظلام ضياء، نار الخليل تصبح باليسر كالظل الظليل، والبحر أمام موسى يفتح السبيل، ويونس بن متى يخرج من الظلمات الثلاث بلطف الجليل.

المختار في الغار، أحاط به الكفار، فقال الصديق: هم على مسالة أشبار، ونخشى من الدمار، فقال الواثق بالقهار: إن الله معنا، وهو يسمعنا، ويحمينا كما جمعنا.

هي الأيام والغـــــــير

وأمـــــــــر الله ينتظـر

أتيـــأس أن ترى فـــرجًـــا

فـــــأين الله والقـــــدر

قل لمن في حضيض اليأس سقطوا، وعلى الشؤم هبطوا، وفي مسألة القدر غلطوا، اعلموا أنه يُنزل الغيث من بعد ما قنطوا، كان بلال يُسحب على الرمضاء، ثم رُفع على الكعبة لرفع النداء، وإسماع الأرض صوت السماء. كان يوسف مسجونًا في الدهليز، ثم ملك مصر بعد العزيز، كان عمر يرعى الغنم في مكة، ثم نشر بالعدل ملكه، وطبعت باسمه السكة، وهو الذي قطع حبل الجور وفكّه، وسحق صرح الطغيان ودكّه.

يا من داهمته الأحزان، وأصبح وهو حيران، وبات وهو سهران، ألم تعلم أنه في كل يوم له شأن، يا من هده الهم وأضناه، وأقلقه الكرب وأشقاه، وزلزله الخطب وأبكاه، أنسيت من يجيب المضطر إذا دعاه.

إذا اشتملت على اليأس القلوب

وضاق بما به الصدر الرحيب

وأوطنت المكاره واطمـــــأنت

وأرست في أمكانهـــا الخطوب

ولم تر لانكشاف الضر نفعًا

ومـــا أجـدى بحـيلتـــه الأريب

أتاك على قنوط منك غـــوث

يمن به اللطيف المســتــجـيب

وكل الحـــــادثات وإن تـنـاهـت

فـمــوصــول بهــا فــرج قــريب

سيجعل الله بعد عسر يسراً، ولا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا.

سينكسر قيد المحبوسين، في زنزانات المتجرين، وسيسقط سوط الجلادين، الذي قطعوا به جلود المعذبين، ،سيمسح دمع اليتامى، وتهدأ أنّات الأيامى، وتسكن صرحات الثكالى. هل رأيت فقرًا في الفقر أبدًا، هل أبصرت محبوسًا في القيد سرمدًا، لن يدوم الضر، لأن هناك أحدًا فردًا صمدًا.

من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا. بلا حول ولا قوة إلا بالله تحمل الأثقال، وتسهل الأهوال، وتصلح الأحوال، ويشرح البال، ويرضى ذو الجلال. بشِّر الليل بصبح صادق يطارده على رؤوس الجبال، وبشر القحط بماء زلال، يلاحقه في أعماق الرمال، وبشر الفقير بمال، يزيل عنه الإملاق والإمحال:

لا تـيـــــــأس عـنـد الـنـوب

مـن فـــــرجـــــه تجـلـو الـكـرب

واصـــبـــر إذ مـــا شـــاب خطـب

فـــــالـزمـــــان أبـو الـعـــــجـب

وتـــــرج مـــــن روح الإلـــــه

لـطـائـفًـــــا لا تحـــــتـــــسـب

واعلم أن لكل شدة مدة، وأن على قدر المؤونة تنزل المعونة، وأن الله يستخرج بالبلاء، صادق الدعاء، وخالص الرجاء.

واعلم أن في الشدائد إذابة الكبر، واستدرار الذكر، وجلب الشكر، وتنبيه الفكر.

فارحل بقلبك إذا الهم برك، واشرح صدرك عند ضيق المعترك، ولا تأسف على ما مضى وهلك، واعلم أنه لا يدوم شيء مع دوران الفلك، وعسى أن تكون الشدة أرفق بك، والمصبة خير لك. فإذا ضاقت بك السبل، وانقطع بك الحيل، فالجأب إلى الله عزّ وجلّ.

واعلم أن الشدائد ليست مستديمة، ولا تبقى بحابك مقيمة، ولعل الله ينظر إليك نظرة رحيمة، والدنيا أحوال، وألوان وأشكال، ولن تدوم عليك الأهوال، فسوف تفتح الأقفال، وتوضع عنك الأغلال، واصبر وانتظر من الله الفرج، فكأنك بليل الشدة قد انبلج.

لا تعجلن فربما
عجل الفتى فيما يضره
فالعيش أحلاه يعود
على حلاوته أمره
ولربما كره الفتى
أمراً عواقبه تسره

واعلم أن الشدائد تفتح الأسماع والأبصار، وتشحذ الأفكار، وتجلب الاعتبار، وتعلم التحمل والاصطبار، وهي تذيب الخطايا، وتعظم بها العطايا، وهي للأجر مطايا.

فاطلب من الله الرعاية، واسأله العناية، فلكل مصيبة غاية، ولكن بلية نهاية. وكم من مرة خفنا، فدعونا ربنا وهتفنا، فأنقذنا وأسعفنا، كم مرة جعنا،

ثم أطعمنا ربنا وأشبعنا، كم مرة زارنا الهم، وبرح بنا الغم، ثم عاد سرورنا وتم، كم مرة وقعنا في الشباك، وأوشكنا على الهلاك، ثم كان من الله الانطلاق والانفكاك، أنت تعامل مع لطيف بعباده، معروف بإمداده، جواد في إسعاده، غلب على مراده، فَلُذْ به وناده، إذا داهمتك الشدائد السود، وحلت بك القيود، وأظلم أمامك الوجود، فعليك بالسجود، وناد يا معبود، يا ذا الجود، أنت الرحيم الودود، لترى الفرج والنصر والسعود:

لطائف الله وإن طال المدى

كلمحةِ الطَّرف إذا اطَّرَفْ

كم فرجٍ بعد إياس قد أتى

وكم سرورٍ قد أتى بعد الأسى

أيها الإنسان في آخر النفق مصباح، ولباب الهموم مفتاح، وبعد الليل صباح، وكم هبت للقانط من الفرج رياح.

أيها الظمآن وراء هذا الجبل ماء، أيها المريض في هذه القارورة دواء، أيها المسجون انظر إلى السماء، أيها المتشائم امسك حبل الرجاء.

كن كالنملة في صعود وهبوط، وعلو وسقوط، ولا تعرف اليأس ولا قنوط، ولا تعترف بالإحباط في كل شوط.

كن كالنحلة في طلب رزقها قائمة، وفي حسن ظنها دائمة، وعلى الزهور حائمة، وفوق الروض عائمة، وليست مع اليأس نائمة.

كن كالهدهد، مع كل سباح ينشد، ومع الربيع يتجدد، وعلى بلقيس تردد، وسليمان له تفقد، فأسلم لربه ووحد، وأنكر على من كفر وألحد فنال المجد المخلد، والذكر المؤبد.

أيهـــا المشـــتكي ومـــا بك داء

كـيف تغـدو إذا غـدوت عليـلا

أترى الشـوك في الورود وتعـمى

أن ترى فـــوقـــه الندى إكليـــلا

والذي نفـســه بغـيـر جـمـال

لا يرى في الوجود شيئًا جميلا

على رؤوس الجبال شمس من الفرج شارقة، وعلى مشارف التلال هالة من النور بارقة، وعلى كل باب للهمهم من السرور طارقة.

افتح عينيك، ارفع يديك، لا تساعد الهم عليك، ولا تدعو اليأس إليك.

السمك والقرش، والطيور والطرش، كلها ترجو رب العرش، فاتجه أنت إليه، واشك الحال عليه، فإن فرجه أسرع من البرق الخاطف، وله في كل لحظة لطائف.

اللّهمّ اصرف عنا المصائب، ورد عنا النوائب، وكف عنا المعائب.

اللّهم سهل الحزون، وهون المنون، وأشبع البطون، وافتح للمضطهدين أبواب السجون، واجعل الخائفين من أمنك في حصون، اللّهمّ احلل الحبال المعقدة، وسهل الأمور المشددة، واكشف السحب المبلدة، وأجب سهام الليل المسددة.

اللّهمّ اجعل لليل همومنا صباحًا من الفرج يشرق، ولظمأ أكبادنا نهرًا من الأمل يتدفق، وجراح مآسينا يدًا بالشفاء تترفق.

اللّهمّ أغننا عن الناس، وارزقنا مما في أيديهم اليأس، ورد عنا البأس، واجعل التقوى لنا أجمل لباس، وأقوى أساس.

لك الحمد حتى يملأ طباق الغبراء، وأجواء السماء، ولك الثناء حتى تشدو به الأطيار، وتميل به الأزهار، ويحمله الليل والنهار.

ولك المجد يا ذا الجود، ما قام الوجود، وسال الماء في العود، ونصب للحياة عمود.

هل يرجى سواك؟! هل يعبد إلا إياك؟!، هنيئًا لمن دعاك، وطوبى لمن ناجاك.

والصلاة والسلام على عبدك ومصطفك، وحامل هداك.

obeikandl.com

المقامة الكونية

سبحان من له في كل شيء آية، ليس لملكه نهاية، وليس لعظمته غاية، اقرأ آيات القدرة في صفحة الكون، وطالع معجزة الخلق في الحركة والسكون في **الليل** إذا عسعس، والصبح إذا تنفس، في **السمك** السارب، في **النمل** الدائب، في **هالة النور** تنشر رداء السناء في **الفضاء**، في **النهار** يتماوج، في **البحر** هائج مائج، في **النحل** يلثم الأزهار، في **الليل** يعانق النهار، في **الدمع** يترقرق، في **الدماء** تتدفق، في **الزهر** يتشقق، في **الدواب** السائمة، في **الوحوش** الهائمة، في **الطيور** الحائمة، في **الحيتان** العائمة، في **العود** يشتد، في **الظل** يمتد، في **الجبال** ترتدي عمائم الثلوج، في **القمر** يهرول في البروج، في **الشمس** تتبرج سافرة على العالم، في **النبت** ما بين نائم وقائم، في **الأسرار** تكنزها الضمائر، في **الأخبار** تختزنها السرائر.

في **الصخور** كأنها تنتظر خبرًا من السماء فهي صامتة، في **الحجارة** يكسرها الإنسان بفأسه وهي ساكنة، في **الفجر** يطلق من عباءته النور، في **الأذهان** بالأفكار تمور، في **الماء** ينهمر من السماء، ويغوص في الرمضاء، يُقبِل بالخضرة والنماء، ويدلف بالحياة للأحياء، يهيج أحيانًا ويهدر، ويزحف ويدمر، لا تحدهُ الحدودة، ولا تردُّه السدود، وعظمته سبحانه في خلق الإنسان، وتركيبة في أحسن كيان، حيث جعل في العينين سراجًا من النور وأنشأ في القلب بصيرة تدرك الأمور، وخلق العقل يقود هذا الكائن، ويوجهه وهو ساكن، في النبتة تشق طريقها إلى الفضاء، وترفع رأسها إلى السماء، في العندليب، يرتجل على الغصن كالخطيب، في الحمام يشدو بأحسن الأنغام، يشكو الحبَّ والهيام، والعشق والغرام، في **الغراب** يخبئ رزقه في الخراب، ويدفن خصمه في التراب، في **الأسد** يطارد القنيصة، ويمزق الفريسة.

في **النحل** يئِنّ، **والذباب** يطِنّ، في **الزنبور** يرِنّ، في **عالم النبات**، آلاف المذاقات، ومئات الطعومات، أخضر يعانق أحمر، وأصفر يضم أغبر، في **الأوراق** تميس في الطل، في **الحشرات** تهرب إلى الظلّ.

في **الناقة** تحِنُّ إلى وليدها، وتشتاق إلى وحيدها، في **الليل** يخلع ثيابه على الآفاق، في **الضباب** يخيّم على الأرض كالأطباق، في **النار** تَحرق، في الماء يُغرق.

في **الضياء** يسطع، في **الضوء** يلمع، في **العين** تدمع، في **البرق** يكاد يذهب سناؤه بالأبصار، في **الصواعق** تقصف الصخور والأشجار، في **الرعد** يدوّي فيملأ العالم ضجيجًا، في **الروض** يفوح فيعبق به الجو أريجًا.

في **أهل السلطان** بين ولاية وعزل، وأسرٍ وقَتْلٍ، وهزيمةٍ ونَصْر، وسِجْنٍ وقَصْر، في **الموت** يخترم النفوس، ويسقط على الرؤوس، ويأخذ الرئيس والمرؤوس، ويبزّ العريس والعروس، ويهدم الأعمال، ويعطّل الأفكار، ويُخلي الديار، ويدخل كل دار.

في **صنف من البشر**، يعيشون البطر، له أموال كالجبال، وآمال كأعمار الأجيال، قصور تشاد، كأنها لن تباد، وحدائق غنّاء، وبساتين فيحاء.

وفي **صنف آخر فقير**، في دنياه حقير، لا يملك الفتيل ولا القطمير، يبحث عن الرغيف، وينام على الرصيف، ولقلبه من خوف الفقر رجيف.

في **أهل العافية** يمرحون، وفي نعيمهم يسرحون، وبما أوتوا يفرحون، وفي أهل **البلاء**، وفي أسحاب الضنك والشقاء، في ظلمات المحيطات، وفي متاهات الغابات، وفي مجاهل الفلوات.

أرض تمتد بلا بشر، **صحارٍ** قاحلة ليس فيها شجر، **وعوالم** موحشة ما يسكنها بدو ولا حضر.

نجوم تسقط، **وكواكب** تهبط، **ونيازك** تلتهب، ترمي بشرر ولهب **مجرّات** شمية، **ومنازل** قمريّة، **حدائق** بأثواب الحسن تسر الناظرين، ومشاهد في الكون جميلة تأخذ ألباب المبصرين، **رياض** أنيقة تسرح فيها الغزلان، **باقات** من الورود بهيجة يلعب بها الولدان.

كل في فلكٍ يسبح، وكلٌّ في عالم يمرح، **شمس** تجري كأنها تبحث عن مفقود، قبل أن تطلع تسجد للمعبود، آية باهرة، وحكمة ظاهرة، في **خلق الإنسان**، ذلك الكيان، الذي يحمل جامعات من السكنات والحركات، فذهن متوقد، وقلب متجدد، وخيال يطوي الزمان والمكان، ويناقل الإنسان، بين خوف وأمان، وذاكرة حافظة، ولسان لافظة، وشركات في كل الأعضاء، منها يجذب الهواء، ويسحب الماء، ويهضك الغذاء، ويجلب الدواء، ويُذهب الداء، ما بين دفع وضغط، وإخراج وشفط، ومؤسّسات تشارك في بناء الجسم، وفي قيام الرسم، ليكون في أحسن تقويم، وأكل تنظيم، **في الطير** وهو يبحث عن طعامه، ويعود إلى مستقرّه ومنامه، في الكائنات وهي في صراع محموم، وفي هموم وغموم، لتحصل على رزقها المقسوم، وعيشها المعلوم، في **الإنسان** وهو يفكّر ويقدِّر، ويقدِّم ويؤخِّر، ويخطّط وينظر، في **الجبال**، واقفة في هيبة وجلال، في **الروابي** الخضراء آية في الجمال، في **العافية والأسقام**، في **الحقيقة والأحلام**، في **اليقين والأوهام**، في **الأقدام والأحجام**، في **السحاب والسراب**، **والضباب والرضاب**.

في **الأحياء**، وحُبِّها للبقاء، ومدافعتها للأعداء، فهذا بمخلبه يصول، وهذا بنابه يجول، وهذا بمنقره يناضل، وذاك بريشه يقاتل، وآخر بسُمِّه يدفع، وغيره بجناحه يردع. منهم من يطير، ومنهم من يسير، منهم من يَسْبح، ومنهم من يمرح، ومنهم على رجلين، ومنهم على يدين، ومنهم يطير بجناحين، هذا يزحف،

وذاك يخطف، وهذا في قيْدِهِ يرسُف، في التقاء الأحباب والفراق، في الضم والعناق، في الركود والانطلاق.

في **النجمة** هائمة في صفحة السماء تبسم في حنادس الليل، في **البدر** تفنيه الليالي ويدركه المحاق كأنه قتيل، في روعة الإشراق، وقد نشرت الشمس ضفائرها ونثرت جدائلها على التلال، وبثَّت سِحرها على الجبال.

الذي يشفي هو اللّه وحده، أما الطبيب فهو سبب للشفاء، فإذا أدركه الفناء، بار فيه الدواء، وعجز في علاجه الأطبّاء، في المريض ييأس من العافية، وتحار فيه الأدوية الظاهرة والخافية، ثم يدركه من اللّه عناية شافية، ورحمة كافية، في **البراكين** تثور بالدمار، في **الزلازل** تهز الديار، في **السُّم** يُصنع منه الدواء، في **الماء** يكون سببًا للفناء، في **الهواء** يعصف فيدمر الأشياء، في **الريح** تكون رخاءً فتلقح الثمار، وتسوق الأمطار، وتزجي السفن في البحار، ثم تكون عاصفة هوجاء، فتقتل الأحياء، وتنقل الوباء، في **النخل** باسقات لها طلع نضيد، في **الجبال** تثبت الأرض وقد كادت تميد، في اللَّين يخرج من بين فرث ودم، في **كل مخلوق** كيف وُجد من العدم، في **الإبل** كيف خُلقت، في **السماء** كيف رُفعت، في **الجبال** كيف نصبت، في **الأرض** كيف سطحت، في **الضحى** إذا ارتفع، في الغيث إذا همع، في **خلق الإنسان** كيف ينكس، وفي عمره كيف يعكس، يعمر فيعود كالطفل، فلا يفرق بين فرض ونفل، في **الطائر** كيف يجمع القش، ويبني العش، ويختار عيضه، ثم يضع بيضه، في **العجماوات** ما بين جائع وبطين، في الدود تبحث عن طعامها في الطين، في **البلبل** يحبس في القفص فلا يبيض، ويعيش بجناح مهيض، في **الحية** وهي في الصحراء، تنصب جسمها كأنها عود للإغراء، فيقع عليها الهدهد، يظنها عود مجرد، فيكون طعامها، بعد أن رأي قيامها، في **الثمرة** تحمي بأشوك، كأنها أسلاك،

في **الأطعمة** ما بين حلو وحامض، وقلوي وقابض، في **الناس** ألف كواحد، وواحد كجيش حاشد، في **البشر** ما بين عاقل حصيف، وطائش خفيف، وتقي متنسك، وفاجر متهتك، في **الأرواح** كيف تتآلف وتتخالف، في اختلاف الأصوات، وتعدد اللهجات، وتباين النغمات، وكثرة اللغات، في **الحر** يكاد يذيب الحديد، في البرد يحوِّل الماء إلى جليد، في **الأرض** يعلوها من الغيث بُرد أخضر، ،يكسوها من القحط رداء أغبر، في **المعادن** تذوب بالنار، فتسيل كأنها أنهار، في **السماء** تتلبد بالغيوم، ولها وجوم، كأن وجهها وجه مهموم، أو طلعة مغموم، في الشمس تكسف، في القمر يخسف، في كل ما ننكر ونعرف، في كل مولود حين يوضع، كيف يهتدي إلى الثدي فيرضع، إن عاش الحيوان في جو معتدل كساه بالشعر، وإن عاش في برد قارص غطاه بالوبر، وإن عاش في الصحارى دثره بالصوف، ليقاوم الحتوف، حيوان الغاب يزوده بناب، ويمنحه مخلاب، وطير العريش يقويه بريش ليعيش، ينبت في الصحراء شجرة جرداء، تصب لحرارة الرمضاء، ووهج البيداء، ويزرع في البستان شجرة ذات رواء وأغصان، ندية الأفنان، مختلفة الطعوم والألوان، جعل الصيد في البيد، ليحمي نفسه من التهديد، علَّم العنكبوت، كيف تبني البيوت، وهدى النملة لادخار القوت، جعل فوق العينين حاجبين، ليحميهما من ضرر المعتدين، وجعل أمامها رمشين، لتكون في حرز أمين، وجعل فيهما ماء تغتسلان به كل حين، يسلط الرياح على السحاب، فيقع التلاقح والإنجاب، إن شاء جعل الهواء عليلاً، يحمل نسيمًا جميلاً، وإن شاء جعله ريحًا عاصفة، مدمرة قاصفة، سبحان من حكم الكون بالقهر، مع علو القدر، ونفاذ الأمر، له الملكوت والجبروت، وهو حي لا يموت، أحسن كل شيء خلقه، وتكفل بكل حي يوم رزقه، أوجد الحَبَّ وفلقه، تسمى بأحسن الأسماء، واتصف بأجمل الصفات والآلاء، عطاؤه أنفع عطاء، جلّ عن الشركاء، نصر الأولياء، وكبت الأعداء، عبادته

فرض، والصدقة عنده قرض، وسلطانه عمّ السماء والأرض، يعلم الغيوب، ويقدر المكتوب، ويمحو الذنوب، ويستر العيوب، ويهدي القلوب، وينقذ المكروب، نعمه لا تعد، ونقمه لا تصد، وعظمته لا تحد، وعطاياه لا ترد، منصورٌ من والاه، سعيدٌ من دعاه، مُوفَّقٌ من رجاه، مخذول من عصاه، مدحور من عاداه.

من الذي قد استوى
لمكه قد احتوى
ومن هو العظيم
والمنعم الكريم
ومن يجيب الداعي
لأشرف المساعي
ومن برى البرية
ووسع البرية
من أنزل الكتابا
وعلم الصوابا
من كسر الأكاسرة
من قصر القياصرة
من علم الإنسانا
علمه البيانا
من أسدل الظلاما
ونشر الغماما
من أطعم الخليقة
وأوضح الطريقة
الخير قد أسداه
والعبد قد هداه

والشـــــر قـــــد أبـاده
والحـق قـــــد أعـــــاده
وهـو عـظـيـم الـقـــــدرة
فـــــقـــــدرنً قـــــدره
يـفـــــعـل مـــــا يـريـد
وبـطـشـــــه شـــــديـد
وهـو المســمى بالصــمـد
فـــــقل هـو الله أحـــــد
يـعـــــــــرف بـالآلاء
والـوصـف والأســـمـــاء
فـلا تـكيف في الصـفـة
وغـلـط المكيـــــفـــــة
ولا تجـــادل فـــيـــه
كـمـذهب الـسـفـيـه
وقـل نـعـم سـلـمـنـا
يـا ربـنـا عـلـمـنـا
واتـبـع الـرســـــــولا
ولا تـكـن جـــــهـــــولا
وكـن عـلـى نـهـج الـسـلـف
واحـــذر أخي من الخلف
واحـــتـــرم الصـــحـــابة
والآل والـقـــــــــرابـة
وكـن تـقـــــيـًـــا واتبـع
ولا تـطـع أهـل الـبـــــدع

obeikandl.com

وعظم الحـــــديثـــــا
وســـر له حـــثـــيـــثـــا
واطلب هديت علمـًـــا
حـبـــاك ربي الفـهـــمـــا
أوله الـتـــــوحـــــيـــــد
يعـــرفـــه العـــبـــيـــد
واجـــــتنب الكلامـــــا
والـزور والآثـامـــــــــا
ومنطقـًـــا وفلســـفـــة
فكل هاتيك ســـفـــــه
واتـبـع الأئـمـــــــــــة
فـــهم نجـــوم الأمـــة
كـــالخلفـــاء الأربعـــة
أهل العـــلا والمنفـــعـــة
كـــذا أبو حنيـــفـــة
علومـــه شـــريفـــة
ومـــــــالـك بـن أنـس
في العلم كـــالمؤسس
والشـــافـعي مـحـمـد
في علمـــه مـــجـــود
وأحـــمـــد بن حنبل
إمـــامنا المبـــجل
وشـــيـــخنا ســـفـــيـــان
بـزهـده مـــــــــزدان

والبـــــــارع الأوزاعـي
قـــد جـــد في المســـاعي
وأحـــمـــــد الحـــرَّاني
العـــــــالـم الربَّـاني
وبعـــده مـــحـــمـــد
من نجـــد جـــا يجـــدد
وهـذه وصـــــيـــــة
أبيـاتهـا مـحـصـيـة
مـــوجـــزة لطيـــفـــة
في لفظهـا خـفـيـفـة
نظمـتـهـا على عـجل
فـي ربـنـا عـــــزّ وجـلّ
فـــهـــو أحق من ذكـــر
وهـــو أجـــل مـــن شـكـــر
أســـأله التـــوفـــيـــقـــا
والفـهم والتـحـقـيـقـا
وأشـــــرف الـصـــــلاة
لـصـــــــاحـب الآيـات
المصطفى وصـــحـــبـــه
آنسـنـا بـحـــــبـــــه

obeikandl.com

ثناء وتمجيد على الحميد المجيد

الحمد لله رب العالمين، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً**﴾، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا**﴾، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا**﴾، وما كان معه من إله، الذي لا إله إلا هو، ولا خالق غيره، ولا رب سواه، المستحق لجميع أنواع العبادة، ولذا قضى أن لا نعبد إلا إياه، ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾. عالم الغيب والشهادة، الذي استوى في علمه ما أسر العبد وما أظهر، الذي علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، ﴿**وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ**﴾، ﴿**يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا**﴾. كيف لاوهو الذي خلق وقدر، ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾. **رحمان** الدنيا والآخرة ورحيمهما الذي كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم الراحمين، الذي غلبت رحمته غضبه، كما كتب ذلك عنده على عرشه في الكتاب المبين، الذي وسعت رحمته كل شيء، وبها يتراحم الخلائق بينهم، كما ثبت ذلك عن سيد المرسلين، فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها، إن الله يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير. **الملك الحق** الذي بيده ملكوت كل شيء ولا شريك له في ملكه ولا معين، **المتصرف** في خلقه بما شاء من الأمر والنهي، والإعزاز والإذلال، والإحياء والإماتة، والهداية والإضلال، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين، لا راد لقضائه ولا مضاد لأمره ولا معقب لحكمه، ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين، له ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير. **القدوس السلام** الذي اتصف بصفات الكمال، وتقدس عن كل نقص

ومحال، وتعالى عن الأشباه والأمثال، حرام على العقول أن تدركه، وعلى الأوهام أن تكيّفه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. **المؤمن** الذي آمن أولياءه من خزي الدنيا، ووقاهم في الآخرة عذاب الهاوية، وآتاهم في هذه الدنيا حسنة وسيحلهم دار المقامة في جنة عالية. **المهيمن** الذي شهد على الخلق بأعمالهم، وهو القائم على كل نفس بما كسبت لا تخفى عليه منهم خافية، إنه بعباده لخبير بصير. العزيز الذي لا مغالب له ولا مرام لجنابه. **الجبار** الذي له مطلق الجبروت والعظمة، وهو الذي يجبر كل كسير مما به. **المتكبر** الذي لا ينبغي الكبرياء إلا له، ولا يليق إلا بجنابه، العظمة إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن نازعه صفة منها أحل به الغضب والمقت والتدمير. **الخالق البارئ المصور** لما شاء إذا شاء في أي صورة شاء من أنواع التصوير ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴿٢﴾ **خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾، ﴿**مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾. **الغفار** الذي لو أتاه العبد بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئًا لأتاه بقرابها مغفرة. **القهار** الذي قصر بسلطان قهره كل مخلوق وقهره. **الوهاب** الذي كل موهوب وصل إلى خلقه فمسن فيض بحار جوده وفضله ونعمائه الزاخرة. **الرازق** الذي لا تنفذ خزائنه ولم يغض ما في يمينه، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ماذا نقص من فضله العزيز؟! يرزق كلَّ ذي قوت قوته، ثم يدبر ذلك القوت في الأعضاء بحكمته تدبيرًا وأولادًا وأهلاً وخدمًا، ولا يرزق الآخرة إلا أهل توحيده وطاعته، قضى ذلك قضاء حتمًا مبرمًا، وأشرف الأرزاق في هذه الدار ما رزقه عبده على أيدي رسله من أسباب النجاة: من الإيمان والعلم والعمل والحكمة وتبيين الهدى المستنير. الفتاح الذي يفتح على من يشاء بما يشاء من فضله

العميم، يفتح على هذا مالاً، وعلى هذا ملكًا، وعلى هذا علمًا وحكمة، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ﴿**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾، العليم الذي أحاط علمه بجميع المعلومات من ماضٍ وآت، وظاهر وكامن، ومتحرك وساكن، وجليل وحقير، علم بسابق علمه عدد أنفاس خلقه، وحركاتهم، وسكناتهم، وأعمالهم، وأرزاقهم، وآجالهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار في العذاب المهين، ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾، وما من جبل إلا ويعلم ما في وعره، ولا بحر إلا ويدري ما في قعره، ﴿**وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾. **القابض الباسط** فيقبض عمن يشاء رزقه فيقدر عليه، ويبسطه على من يشاء فيوسع عليه، وكذا له القبض والبسط في أعمال عباده وقلوبهم، كل ذلك إليه، إذ هو المتفرد بالإحياء والإماتة، والهداية والإضلال، والإيجاد والإعدام، وأنواع التصرف والتدبير. **الخافض الرافع، الضار النافع، المعطي المانع**، فلا رافع لمن خفض، ولا خافض لمن رفع، ولا معطي لما منع، فلو اجتمع أهل السموات السبع والأرضين ومن فيهن وما بينهما على خفض من هو رافعه، أو ضر من هو نافعه، أو إعطاء من هو مانعه، لم يك ذلك في استطاعتهم بواقع، ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.

المعز المذل أعزَّ أولياءه في الدنيا والآخرة، وأيّدهم بنصره المبين وبراهينه القويمة المتظاهرة، وأذلّ أعداءه في الدارين وضرب عليهم الذّلة والصغار، وجعل عليهم الدائرة، فما لمن والاه وأعزه من مذّل، وما لمن عاداه وأذله من ولي

ولا نصير. **السميع البصير**، لا كسمع ولا بصر أحد من الورى، القائل لموسى وهارون: ﴿**إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ**﴾، فمن نفى عن الله ما وصف به نفسه، أو شبّه صفاته بصفات خلقه، فقد افترى على الله كذبًا، وقد خاب من افترى، ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾. **الحكم العدل** في قضائه وقدره وشرعه وأحكامه قولاً وفعلاً إن ربي على صراط مستقيم، فلا يحيف في حكمه ولا يجور، وما ربك بظلام للعبيد، الذي حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرّمًا، وأوعد الظالمين الوعيد الأكيد، وفي الحديث: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**»[1].

﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾، وهو الذي يضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا، بل يحصي عليهم الخردلة والذرة والفتيل والقطمير، اللطيف بعباده معافاة وإعانة وعفوًا ورحمة وفضلاً وإحسانًا، ومن معاني لطفه إدراك أسرار الأمور حيث أحاط بها علمًا وتفصيلاً وإجمالاً وسرًا وإعلانًا. **الخبير** بأحوال مخلوقاته وأقوالهم وأفعالهم، ماذا عملوا، وكيف عملوا، وأين عملوا، ومتى عملوا حقيقة وكيفية، ومكانًا وزمانًا، ﴿**إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾. **الحليم** فلا يعاجل أهل معصيته بالعقاب، بل يعافيهم ويمهلهم ليتوبوا فيتوب عليهم إنه هو **التواب الرحيم**. الذي اتصف بكل معنى يوجب التعظيم وهل تنبغي العظمة إلا لرب الأرباب، خضعت لعظمته وجبروته جميع العظماء، وذلّ لعزته وكبريائه كل كبير. **الغفور الشكور** الذي يغفر الكثير من الزلل، ويقبل اليسير من صالح العمل، فيضاعفه أضعافًا كثيرة ويثيب عليه الثواب الجلل، وكل هذا لأهل التوحيد، أما الشرك فلا يغفره ولا يقبل معه من العمل من قليل ولا كثير.

---

(١) أخرج البخاري برقم (٤٦٨٦)، ومسلم برقم (٢٥٨٣).

العلي الذي ثبتت له كل معاني العلو: علو الشأن، وعلو القهر، وعلو الذات، الذي استوى على عرشه وعلا على خلقه بائنًا من جميع المخلوقات، كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه وأخبر عنه رسوله ﷺ في أصح الروايات، وأجمع على ذلك أهل الحل والعقد بلا نزاع بينهم ولا نكير. **الكبير** الذي كل شيء دونه، ﴿**وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾، كما أخبر بذلك عن نفسه نصًا بينًا محكمًا. **الحفيظ** على كل شيء فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، الذي وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما، حفظ أولياءه في الدنيا والآخرة ونجاهم من كل أمر خطير. **المغيث** لجميع مخلوقاته فما استغاثه ملهوف إلا نجاه. **الحسيب الوكيل** الذي ما التجأ إليه مخلص إلا كفاه، ولا اعتصم به مؤمن إلا حفظه ووقاه، ومن يتوكل على الله فهو حسبه فنعم **المولى** ونعم **النصير**. **الجليل** الذي جلّ عن كل نقص واتصف بكل كمال وجلال. **الجميل** الذي له مطلق الجمال في الذات والصفات والأسماء والأفعال. **الكريم** الذي لو أن أول الخلق وآخرهم وإنسهم وجنّهم قاموا في صعيد واحد، فسألوه، فأعطى كل واحد منهم مسألته، ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، كما روى عنه نبيه المصطفى المفضال، ومن كرمه أن يقابل الإساءة بالإحسان، والذنب بالغفران، ويقبل التوبة، ويعفو عن التقصير. **الرقيب** على عباده بأعمالهم. و**العليم** بأقوالهم وأفعالهم. **الكفيل** بأرزاقهم وآجالهم وإنشائهم ومآلهم. **المجيب** لدعائهم وسؤالهم وإليه المصير. **الواسع** الذي وسع كل شيء علمًا، ووسع خلقه برزقه ونعمته وعفوه ورحمته كرمًا وحلمًا، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علمًا، ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾. **الحكيم** في خلقه وتدبيره إحكامًا وإتقانًا، و**الحكيم** في شرعه وقدره عدلاً وإحسانًا، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ومن أكبر من الله شهادة ، وأوضح دليلاً،

وأقوم برهانًا، فهو العدل، وحكمة عدل، وشرعه عدل، وقضاؤه عدل، فله الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. **الودود** الذي يحب أولياءه ويحبونه كما أخبر عن نفسه في محكم الآيات. **المجيب** لدعوة الداعي إذا دعاه في أي مكان كان، وفي أي وقت من الأوقات، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تختلف عليه المطالب، ولا تشتبه عليه الأصوات، فيكشف الغم، ويذهب الهم، ويفرج الكرب، ويستر العيب. وهو **الستار**، **المجيد** الذي هو أهل الثناء كما مجد نفسه، وهو الممجد على اختلاف الألسن وتباين اللغات بأنواع التمجيد. الباعث الذي بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه. **الفعال** لما يريد. **الشهيد** الذي هو أكبر كل شيء شهادة وكفي بالله شهيدًا، ﴿**أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾، ﴿**هُوَ الْحَقَّ**﴾، ﴿**قَوْلُهُ الْحَقُّ**﴾،﴿**وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾. **القوي المتين** الذي لم يقم لقوته شيء وهو شديد المحال. **الولي** للمؤمنين فلا غالب لمن تولاه، وإذا أراد بقوم سوءًا فلا مردّ له، وما لهم من دونه من وال. **الحميد** الذي ثبت له جميع أنواع المحامد، وهل يثبت الحمد إلا لذي العزة والجلال، فله الحمد كما يقول وخيرًا مما نقول، لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، وكيف يحصى العبد الضعيف ثناء على العلي الكبير. **المحصي** الذي أحصى كل شيء عددًا وهو القائل: ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ**﴾. **المبدئ المعيد** الذي قال وهو أصدق القائلين: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾، ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾، وأنَّى يعجزه إعادته وقد خلقه من قبل ولم يك شيئًا، كل يعلم ذلك ويقر به بلا نكير. **المحيي المميت** الذي انفرد بالإحياء والإماتة، فلو اجتمع الخلق على إماتة نفس هو محييها أو إحياء نفس هو مميتها لم يك ذلك ممكنًا، وهل يقدر المخلوق الضعيف على دفع إرادة **الخالق العلاّم**، **الحيّ الدائم الباقي** الذي لا يموت، وكل ما سواه زائل كما قال تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ**

﴿رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾. **القيوم** الذي قام بنفسه ولا قوام لخلقه إلا به، ومن آياته آن تقوم السماء والأرض بأمره فلا يحتاج إلى شيء، بل كل شيء إليه فقير. **الواحد الأحد** الذي لا شريك له في إلهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته، وملكوته وجبروته، وعظمته وكبريائه وجلاله، لا ضدّ له ولا ندّ ولا شبيه ولا كفؤ ولا عديل. **الصمد** الذي يصمد إليه جميع الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، فهو المقصود إليه في الرغائب، المستغاث به عند المصائب، فإليه منتهى الطلبات، ومنه يسأل قضاء الحاجات، وهو الذي لا تعتريه الآفات، وهو حسبنا ونعم الوكيل، فهو السيِّد الذي قد كمل في سؤدده، و**العظيم** الذي قد كمل في عظمته، و**الحليم** الذي قد كمل في حلمه، و**العليم** الذي قد كمل في علمه، و**الحكيم** الذي قد كملت حكمته، وهو الذي قد كمل في صفات الكمال، ولا تنبغي هذه الصفات لغير الملك **الجليل**، **القادر المقتدر**، الذي إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض، إنه على كل شيء قدير. **المقدّم المؤخر** بقدرته الشاملة ومشيئته النافذة على وفق ما قدره وسبق به علمه وتمت به كلمته بلا تبديل ولا تغيير.

الأول فليس قبله شيء، و**الآخر** فليس بعده شيء، و**الظاهر** فليس فوقه شيء، و**الباطن** فلي دونه شيء، هكذا فسَّره البشير النذير. **الولي** فلا منازع له ولا مضاد. **المتعالي** عن الشركاء والوزراء والنظراء والأنداد، البر وصفًا، وفعلاً، ومِن برِّه المنُّ على أوليائه بإنجائهم من عذابه كما وعدهم على ألسنة رسله أنه لا يخلف الميعاد. **التواب** الذي يرزق من يشاء التوبة، فيتوب عليه وينجيه من عذاب السعير. **المنتقم** الذي لم يقم لغضبه شيء، وهو الشديد العقاب والبطش والانتقام. **العفو** بمنِّه وكرمه عن الذنوب والآثام. **الرؤوف** بالمؤمنين، ومن رأفته بهم أن نزَّل على عبده آيات مبينات ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى

نور الإسلام، ومن رأفته بهم أن اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، مع كون الجميع ملكه، ولم ينزع عنهم التوبة قبل الختام فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾. **مالك الملك** يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ذو الجلال والإكرام، والعزة والبقاء، والملكوت والجبروت، والعظمة والكبرياء. **المقسط** الذي أرسل رسله بالبينات، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وما للظالمين من نصير. **الجامع** لشتات الأمور وهو جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد. **الغني المغني**، فلا يحتاج إلى شيء، ولا تزيد في ملكه طاعة الطائعين، ولا تنقصه معصية العاصين، وكل خلقه مفتقرون إليه، لا غنى بهم عن بابه طرفة عين، وهو الكفيل بهم رعاية وكفاية وهو **الكريم الجواد**، وبجوده عم جميع الأنام من طائع وعاص، وقوي وضعيف، وشكور وكفور، وآمر ومأمور.

نور السموات والأرض ومن فيهن كما وصف نفسه بذلك في كتابه ووصفه به محمد عبده ورسوله وحبيبه ومصطفاه وقال ﷺ مستعيذًا به: «**أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحلَّ بي غضبك، أو ينزل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله**»[1].

---

(١) أخرجه الطبري في «التاريخ» (٥٥٤/١)، وابن عدي في «الكامل» (١١١/٦)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢٧٥/٢)، والرافعي في «التدوين في أخبار قزوين»، وانظر: «مجمع الزوائد» (٣٥/٦).

فبصفات ربنا تعالى نؤمن، ولكتابه وسنة رسوله نحكم، وبحكمهما نرضى ونسلِّم، وإن أبى الملحد إلا جحود ذلك وتأويله على ما يوافق هواه ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾. **الهادي** الذي بيده الهداية والإضلال، فلا هادي لمن أضل، ولا مضل لمن هدى ﴿**مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾،﴿**مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا**﴾، ﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ**﴾. **البديع** الذي أبدع السموات والأرض وما بينهما بلطيف صنعه وبديع حكمته، بلا معين ولا مثال. **الباقي** الذي كل شيء هالك إلا وجهه. **الأول** بلا ابتداء، و**الآخر** بلا انتهاء. **الوارث** الذي يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، وإليه المرجع والمآل فبإيجاده كل موجود وجد، وإليه كل الأمور تصير. **الرشيد** في كل أقواله وأفعاله، فبالرشاد يأمر عباده وإليه يهديهم. **الصبور** الذي لا أحد أصبر منه على أذىً سمعه، ينسبون له الولد ويجحدون أن يعيدهم ويحييهم. وكل ذلك بسمعه وبصره وعلمه، لا يخفى عليه منهم شيء، ثم هو يرزقهم ويعافيهم، ذلك بأنهم لم يبلغوا نفعه فينفعوه، ولا ضره فيضروه، وإنما يعود نفع طاعتهم إليه، ووبال عصيانهم عليهم، واستغنى الله والله غنى حميد.

﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾.

أحمده تعالى على جزيل إنعامه وإفضاله، وأشركه على جليل إحسانه ونواله، وله الحمد على أسمائه الحسنى، وصفات كماله، ونعوت جلاله، وله الحمد على عدله قدرًا وشرعًا، وله الحمد في الآخرة والأولى وهو **الحكيم الخبير**، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له **الملك، الحق العلي الكبير**،

تعالى في إلهيته وربوبيته عن الشريك والوزير، وتقدَّس في أَحديته وصمديته عن الصاحبة والولد والوالد والولي والنصير، وتنزه في صفات كماله ونعوت جلاله عن الكفؤ والنظير، وعزّ في سلطان قهره كمال قدرته عن المنازع والمغالب والمعين والمشير، وجل في بقائه وديموميته وغناه وقيّوميته عن المطعِم والمجير، فسبحانه ما أعظمه وأحلمه ما أجله وأكمله عليه توكلت وإليه أنيب وهو حسبي ونعم الوكيل.

سبحان من انتشل ذا النون من الظلمات، سبحان من نجى نوحًا من الكربات، سبحان من أطفأ النار لإبراهيم، وجمد المال للكليم، سبحان من أنشأ القرون وأعادها، وأحيا الأمم وأبادها، سبحان من ملأ القلوب من هيبته، والأرواح من عظمته، وعمر الأكوان بحكمته، وطوّق الأعناق بنعمته، سبحان من تفرّد بالبقاء وجلّب عن الشركاء، وأبدع كل شيء كما يشاء.

سبحان من أجرى الماء، وسيّر الهواء، وبثّ الضياء، وأقام الظلماء.

سبحان من شفى الشكوك باليقين، وأحل النقمة بالظالمين، وأنزل العقاب بالفاسقين.

سبحان من على العرش استوى، مَنْ يسمع ويرى، سبحان الذي خلق فسوى، سبحان الذي قدر فهدى.

سبحان من لا يموت، سبحان من تكفل بالقوت، سبحان من صوّر الأجنّة، سبحان من له المنّة، سبحان من وهب النور في الأبصار، وسكب الضياء في النهار، وقصّر بالموت الأعمار، وأفنى بالهلاك الديار، حلَّ في علاه، تقدّس عن الأشباه، لا إله إلا إياه، لا نعبد سواه، غالب فلا يقهر، وشاء فلا يجير، أغنى وأقنى، وأضحك وأبكى، ظهرت آياته، بهرت بيناته، وحسنت صفاته، تباركت ذاته.

أبرم الحيل لأعدائه، وأحكم الأمور لأوليائه، تفرد عن الملوك بالملكوت، وقصم الجبارين بالجبروت.

تلألأت بأجل المحامد أسماؤه، توالت بأسنى الهبات آلاؤه، تواترت بأبرك الخيرات نعماؤه، جمل اختياره واصطفاؤه، ما أحسن جميله، ما أوضح تفصيله، ما أيسر تسهيله، ما أصدق قيله.

لا إله إلا الله عدد ما خطت الأقلام، **لا إله إلا الله** كلما سجع الحمام، وهطل الغمام، وقوضت من منى الخيام.

لا إله إلا الله كلما برق الصباح، وهبت الرياح، وكلما تعاقبت الأتراح والأفراح.

لا إله إلا الله كلما ازدحمت الأنفاس، وكلما حلَّ السرور والإيناس، وانتقل الضرُّ والبأس، وزال القنوط واليأس.

لا إله إلا الله ترضيه، **لا إله إلا الله** بها نلاقيه، **لا إله إلا الله** تملأُ الكون وما فيه، **لا إله إلا الله** كلما دجى الليل، وكلما انكشف الهول والويل، وكلما انعقد السحاب وجرى السيل.

لا إله إلا الله يفعل ما يريد، **لا إله إلا الله** يبدئ ويعيد، **لا إله إلا الله** ذو العرش المجيد، والبطش الشديد، **لا إله إلا الله** ندخرها ليوم الوعيد، ونتقي بها عذاب جهنم الأكيد.

لا إله إلا الله كلما ترعرع ورد وأزهر، وكلما لمع بارق وأمطر، وكلما تنفس صبح وأسفر، **لا إله إلا الله** كلما زمجرت الرعود، وخفقت البنود، وجرى الماء في العود، **لا إله إلا الله** كلما هتف الحمام، وهطل الغمام، وارتفعت الأعلام، ووسدت الجماجم الرغام.

لا إله إلا الله كلما تلألأ الضياء، وشع السناء، وتدفق الماء، وسرى الهواء.

لا إله إلا الله عدد من صلى وصام، وطاف بالبيت الحرام، وعدد الخليقة يوم الزحام.

لا إله إلا الله الواحد القهار، الملك الجبار، مكوِّر الليل على النهار.

لا إله إلا الله في علاه، لا نعبد إلا إياه، ولا ندعو سواه، تفضل بالجميل، وأعطى الجزيل، وشفى العليل، وأزاح الهمَّ الثقيل.

لا إله إلا الله حفظ الأولياء، ونصر الأنبياء، وكبت الأعداء، يفعل ما يشاء، ويبرم القضاء، وينزل الداء والدواء.

لا إله إلا الله محيي الأموات، المتكفل بالأقوات، منزل الآيات، عالم السر والخفيات، رفيع الدرجات.

لا إله إلا الله مكرم الأبرار، مهين الفجار، هازم الكفار، عالم الجهر والإسرار.

لا إله إلا الله نأمن بها من الفتان، ونعوذ بها من النيران، ونرجو بها الجنان في جوار الرحمن.

الله المستعان على قدرة الرحمن وكتبة الديان.

ذُبح أنبياؤه، وقُتل أولياؤه، وأُوذي أهل الإيمان، **فالله المستعان**.

وُضع خليله في المنجنيق، وهدَّده الكفارب بالحريق، وارتجل اللسان، **فالله المستعان**.

سهر المعصوم من الأذى، وشرد نعاسه، وشُجَّ رأسه، وكُسرت رباعيته، وجرحت وجنته، وتألّبت عليه الأحزاب والأعوان، **فالله المستعان**.

طُعن الفاروق، فدفقت دماؤه من العروق، وهو يرتل القرآن، **فالله المستعان**.

مُـزِّقَ عـثـمـان، وسـال دمـه على القـرآن، وقطعت أصـابعـه والبنان، **فـالله المستعان.**

ذُبح عليٌّ، والله الولي، فتوالت الأحزان، **فالله المستعان.**

إذا حلّ الأمر الصعب، وادلهمَّ الخطب، وعمّ الجدب، **فالله المستعان.**

إذا قلّ النصـيـر، وتفـاقم الأمـر الخطيـر، وحـمل الفـاجـعـة النذير، **فـالله المستعان.**

إذا أظلم الأفق، وضاقت الطرق، وانشق بالمصائب الأفق، **فالله المستعان.**

إذا جاعت البطون، وأخطأت الظنون، وحلّت المنون، **فالله المستعان.**

الله المستعان على تعاقب الزمان، وتفرق الإخوان.

الله المستعان إذا اختلف الجديدان، وافترق المتحابان، وعلا الميزان.

الله المستـعـان على المصـائب الأليـمـة، والكوارث المقيـمـة، والخـطب الجلل، والأزمات والعلل.

الله المستعان على فقد الأحباب، وموت الأصحاب، وتغيُّر الأسباب.

الله المستعان على تبدل النعم، وحلول القم، وهلاك الأمم.

الله المستعان على فقد الولد، وقحط البلد، وضعف السند.

الله المستعان إذا أجدبت الديار، وتأخّرت الأمطار، وذبلت الأشجار.

الله المستعان إذا قست القلوب، وظهرت العيوب، وكثرت الذنوب.

الله المستعان على كل ظلوم جبار، وعلى كل خائن كفَّار، وعلى كل جاحد ختّار.

الله المستـعـان على فـتنة السـراء والضـراء، وعلى الشـدة والرخـاء، وعلى المصيبة والنعماء.

الله أكبر عدد قطر البحار، وورق الأشجار، ورذاذ الأمطار، وذرات الغبار.

الله أكبر عدد حبَّات الرمال، **الله أكبر** مع تعاقب القرون والأجيال، **الله أكبر** عند تصرّم الأعمار والآجال.

الله أكبر حقًا حقًا، الله أكبر محبة وصدقًا، **الله أكبر** عبودية ورقّاً.

الله أكبر تشدو بها الطيور على الفنن، وتلهج بها الألسن في كلِّ زمن.

تقدّس الكبير المتعال، تبارك ذو الجلال، عز ذو الجمال والكمال.

الله أكبر تزلزل قلاع المارقين، وتنسف معاقل المنافقين، وتحطم أوكار الفاسقين، وتهدم جيوش الخائنين.

الله أكبر ترجف لها القلوب، وتغفر بها الذنوب، وتصغر لها الشعوب.

الله أكبر تكسر بها آمال الأكاسرة، وتقصر بها أعمار القياصرة، وترغم بها أنوف الجبابرة.

الله أكبر له الكبرياء والثناء، وإليه الرجاء ومنه النعماء.

الله أكبر لم تحجبه سماء عن سماء، ولا شغلته أرجاء عن أرجاء، سمع دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء.

الله أكبر دعاه المريض على سريره، وفزع إليه المنكوب في أموره، وهتف باسمه الربّان في البحار، ولهج بذكره من ضلّ في القفار.

الله أكبر يدعى للكرب الشديد، وينادى للخطب العتيد، يُفر إليه في الملمات، ويركن إليه في الأزمات.

الله أكبر ما أحلمه على الطغاة، وما أصبره على العصاة، وما أقربه ممن دعاه، وما أقدره على نصر من تولاه، وما أشد بطشه بمن عاداه، وما أسمعه لمن ناداه.

من قبله فهو المقبول، ومن حاربه فهو المخذول، من التجأ إليه عز، من توكل عليه كفاه، من أطاعه تولاه، من نازعه قصمه، من بارزه حطمه، من أشرك به أحرقه، من نادَّه مزقه.

الله أكبر شهدت بعظمته البحار والمحيطات، والجبال الراسيات، **الله أكبر** كلما دعاه ملهوف فحمان، وكلما سأله محتاج أعطاه.

الله أكبر أفنى القرون الأول، وفل الجيوش والدول.

الله أكبر أنزل الجبابرة من القصور، وأضجعهم في القبور.

الحمد لله على جزيل العطاء، مسدي النعماء، وكاشف الضراء، معطي السراء.

الحمد لله عالم السر والجهر، **الحمد لله** عالي القهر والقدر. **الحمد لله** المتكلف بالأقوات، المدعو عند المدلهمات، المطلوب عند كشف الكربات، المرجو في الأزمات.

الحمد لله دائم الإحسان، جزيل الخير والامتنان، حكيم الخلق والإتقان، إليه يصعد الثقلان، وعليه يتوكل الإنس والجان، ومنه يطعم الإنسان والحيوان.

الحمد لله على كل نعمة أنعم بها، وعلى كل بلية صرفها، وعلى كل أمر يسره، وعلى كل قضاء قدره، وعلى كل شرٍّ صرفه، وكل مكروه كفاه، وكل حادث لطف فيه.

الحمد لله كم أعطى من النعيم، **الحمد لله** كم منح من الخير العميم، **الحمد لله** كم تفضل به من النوال الجسيم، **الحمد لله** عمت نعمه، وانصرفت نقمه، وتضاعف كرمه.

الحمد لله على تمام المنّة، **الحمد لله** بالكتاب والسنّة، و**الحمد لله** على

نعمة الإسلام، **الحمد لله** على تواتر الإنعام، **الحمد لله** ما توالت أفضاله، وعمّ نواله، وحسنت أفعاله، وتمت أقواله، **الحمد لله** وحمده أحسن قيل، وهو مولي الجميل، وواهب العطاء الجزيز، وشافي العليل، والمبارك في القليل، **الحمد لله** أجود من أعطى، وأصدق من أوفى.

الحمد لله مانح الهبات، منجزل العطيات، مهيئ الطيبات، مرسل النفحات، **الحمد لله** على حسن الكفاية، **الحمد لله** على جميل الرعاية، **الحمد لله** على عزة الولايةب، **الحمد لله** المدل على الهدى، الحاجز من الردى ما حمام شدا، وما بدر بدا، وما طل غدا.

الحمد لله أبدًا سرمدًا ولا نشرك مع أحدًا، تبارك فردًا صمدًا، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولا شريكًا ولا عضدًا.

الحمد لله على مر الساعات، وفي كل الأوقات، وطيلة اللحظات، **الحمد لله** على إنعامه، **الحمد لله** على إكرامه، **الحمد لله** على حسن صنيعه.

الحمد لله على الأيادي الوافية، والمنن الصافية، **الحمد لله** على العافية، والولاية الكافية، و**الحمد لله** على إفضاله، **الحمد لله** على إنزاله، **الحمد لله** على إجزاله.

نحمدك ما همع سحاب، ولمع سراب، واجتمع أحباب، وقرئ كتاب.

الحمد لله ما طبق ظلام، وانحل نظام، وسمع كلام، واستيقظ نوام.

الحمد لله ما استهل وليد، وعاد وعيد، وآب بعيد، ورجع طريد.

حمداً حمداً على الإكرام **شكراً شكراً** على الإنعام.

openkanal.com

يا رب

اللّهمّ لبيك وسعديك والخير في يديك ومنك وبك وإليك، **اللّهمّ** ما قلت من قول، أونذرت من نذر، أو حلفت من حلف، فمشيئتك بين يديك، ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بك، إنك على كل شيء قدير.

اللّهمّ أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين أسألك اللّه الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الممات، ولذة نظرٍ إلى وجهك، وشوقًا إلى لقائك من غير ضرّاء مضرة، ولا فتنة مضلة، أعذ بك اللّهمّ أن أَظلم أو أُظلم، أو أعتدي أو يعتدى عليّ، أو أكتسب خطيئة محبطة، أو ذنبًا لا يغفر.

اللّهمّ فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام، فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا، وأُشهدك وكفى بك شهيدًا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، لك المالك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبدك ورسولك، وأشهد أن وعدك حق، ولقاءك حق، والجنة حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنت تبعث من في القبور، وأشهد أنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاغفر لي ذنبي كله، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم.

اللّهمّ يا من ليس في الوجود رب سواه، يا من عليه يُعتمد، يا أحد، يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، يا كثير الخير، يا دائم المعروف، يا مَن الملائكة في خدمته صفوف، وعلى طاعته عكوف.

يا جار المستجير، ومن هو على كل شيء قدير.

Obeikandl.com

يا غياث الملهوف، يا من بيده القبض والبسط، وبيده تقوم السماوات والأرض.

يا من امتدت لمسألته أكف السائلين، وخرت لعبادته وجوه الساجدين، وعجت بتلبيته أصوات الملبّين، وطمحت إلى معروفه أبصار الآملين.

يا عالم السرو النجوى، يا ن إليه المشتكى.

يا من عنت له الوجوه، وخشعت له الأصوات.

يا من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

يا من إذا انتهت الشكوى إليه فقد بلغت المنتهى.

يا فالق الحب والنوى.

اللّهمّ نشكو إليك ما نحن فيه، من طاعتك مقصرون، وعلى معصيتك مصرون، وبعظمتك جاهلون، وبحلمك مغترون، وعن القيام بما يلزمنا في حقك عاجزون.

اللّهمّ اجعلنا من الذين يعاملونك بما تحب، وتعاملهم بما يحبون، وينصرفون عما تكره، وتصرف عنهم ما يكرهون. وألحقنا بالذين وجهوا إليك وجوههم، وأخلصوا لك أعمالهم، ولم يعتمدوا على أحد إلا عليك، ولم يستندوا إلا إليك، ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾.

اللّهمّ إنا نسألك بأنا نشهد أنك اللّه الذي لا إله إلا هو أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

نسألك بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أن تغفر لنا ذنوبنا.

اللّهمّ إنا نعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمان، وصلح عليه أمر

الدنيا والآخرة، أن يحل علينا غضبك، أن ينزل علينا سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك.

اللّهمّ يا مصرّف القلوب والأبصار صرّف قلوبنا إلى دينك وطاعتك.

اللّهمّ إنك عفو تحب العفو فاعف عنا.

اللّهمّ إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك.

اللّهمّ إنا نعوذ برضاك من سخطك، ومعافاتك من عقوبتك، ونعوذ بك منك، لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

اللّهمّ نواصينا بيدك، ماضٍ فينا حكمك، عدل فينا قضاؤك، نسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا.

اللّهمّ ربنا لك الحمد، ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

اللّهمّ لك أسلمنا، وبك آمنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا، وبك خاصمنا، وإليك حاكمنا، فاغفر لنا ما قدّمنا وما أخّرنا، وما أسررنا وما أعلنّا، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك.

obeikandl.com

obeikandl.com

ثناء الجنان واللسان على الملك الديان

سبحان من أتته السماء والأرض طائعة، وتطامنت الجبال لعظمته خاشعة، ووكفت العيون عند ذكره دامعة، ترنّم الرعد بتسبيحه، لمع البرق بتمجيده، شدا الطير بذكره، هدل الحمام بشكره، شُكره نعمة تستوجب الشكر، ومدحه فضيلة للمادح تستحق العرفان، والثناء عليه منة منه يختص بها من يشاء.

هجدنا ونام الركب والليل مسرف

وقمت أسح الدمع للخالق الباري

عبادته شرف، والذلُّ له عزة، والافتقار إليه غنى، والتمسكن له قوة، محاربته خذلان، والكفر به لعنة، والتنكر لجميله عذاب.

فتح ومنح، طحى ودحى، أغطش وأغشى، رفع ووضع، وصل وقطع، أطعم، وسقى، كفى وكسى، يبتلي ويستدرج، ويبرم ويعد، ويأخذ وينتقم، يَصُبُّ النعيم على من عصاه، ثم يأخذهُ أخذ عزيز مقتدر، ويسلط البلاء على من أطاعه ليرفع منزلته في الصالحين.

ينشيء حدائق غناء، غزيرة الماء، وارفة الأنداء، طيبة الظل، ندية الطل ﴿**حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ**﴾.

كم أضحك من سن، وأبكى من عين، خلق الضدين، وأوجد النقيضين، وجعل المتشابهين والمختلفين: ليلاً ونهارًا، ونورًا وظلمة، حرًا وبردًا، رخاءً وشدة، جنة وناراً، خدى وضلالاً، إيمانًا وكفرًا، صلاحًا وفسادًا، فيا الله ما أحكمه وأعلمه، وما أحسن صنعه، وأجل لطفه.

قطع الألسنة الفصيحة بسيف الموت، بتر الرؤوس العنيدة بصارم الفناء، فرجه فجأة، وأخذه بغتة، ومنعه وعطاؤه حكمة، وقضاؤه نافذ، وأمره غالب، بيده الأمر وإليه المعاد ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾.

أحلى اللحظات وأجل الساعات إذا ذكرته، أشرف الرتب وأفضل القرب إذا سبّحته.

أرفع المقامات وأعظم الدرجات إذا شكرته، أنكد الأزمات وغاية الهوان إذا عصيته، أشقى الليالي والأيام إذا حاربته.

أرغم بحجته أنوف الضلال، وقرع بجلال وعظه قلوب اللاهين، وزلزل بوعيده أفئدة الجبابرة، وأحف بوعده نفوس الطائعين.

انظر إلى الشمس كيف أبدع سناها، وسيرها إلى منتهاها، وبلَّغها مداها، وزيَّن القمر وحسّن طلعته، وبثّ نوره وحسن زينته، وبث النجوم ما بين منظوم ومنثور ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾.

obeikandl.com

إلى أين المفر؟

قال تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

كل شيء تخافه فإنك تفرُ وتهرب عنه إلا الواحد الأحد فإن مَن خافه يفر منه إليه، ويهرب من سخطه إلى رضوانه، ومن وعيده إلى وعده، فلا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه، الفرار إلى الله تعالى هو الانطراح ببابه والانكسار لجنابه، هو اللجوء إليه تعالى والدخول في الإيمان والطاعة، والهروب من المعصية والخطيئة، الفرار نوعان: فرار السعداء، وفرار الأشقياء.

ففرار السعداء: هو الفرار إلى الله عزّ وجلّ، وفرار الأشقياء: هو الفرار منه تعالى لا إليه.

والذي يظن أنه يستطيع أن يفر من الله تعالى وأن يفلت من قبضته فهو جاهل أحمق، فإن المرجع إليه، والمصير إليه.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۝١٠ كَلاَّ لا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾.

إن المؤمن يهرب من ضيق الصدور بالهموم والغموم، ويفر من الأحزان والمخاوف إلى سعة فضاء الأنس بالله، الثقة بنصره، وصدق التوكل عليه، وحسن الرجاء لجميل صنعه به، والطمع في رحمته وغفرانه.

والله جلَّ وعلا لا يخيب رجاء من رجاه، ولا يضيع من أحسن الظن به، ومن تقرب إليه شبرًا تقرب إليه ذراعًا، ومن تقرب إليه ذراعًا تقرب منه باعًا، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة، فلطفه قريب، وجوده كبير، وعفوه عظيم.

obeikandl.com

obeikandl.com

أجل محبوب

المؤن لا يقنع من الله بأمر يسكن إليه دون الله، ولا يفرح بما حصل له دون الله، ولا يأسى على ما فاته سوى الله، ولا يستغني إلا بالله، ولا يفتقر إلا إلى الله، ولا يفرح إلا بموافقته لمرضاة الله، ولا يستغني إلا بالله، ولا يخاف إلا من سقوطه من نظر الله، فكله بالله، وكله لله، وكله مع الله، وسيره دائمًا إلى الله، يحب الله ويحبه الله، ويرضى بالله، ويرضى عنه الله.

رقـــادي يا طرفي عليك حـــرام
فخل دموعًا فيضهن سجام
ففي الدمع إطفاء لنار صبابة
لهـــا بين أحناء الضلوع ضـــرام
ويا كبدي الحرَّى التي قد تصدَّعت
من الوجد ذوبي ما عليك ملام
ويا وجـــه من ذلَّت وجـــوه أعـــزة
له وزها عـــــــزًا فليس يرام
أجر مستجيراً في الهوى جاء باسطٌ
إليك يديه والعـــيـــون نيـــام

إن بين العبد وبين ربه مسافة، لا تقطع إلا بقطع العلائق، ورفض العوائق. وعلى مرآة القلب صدا، لا يجلوه إلا نسيان الخلق في جنب ذكر الخالق، فمن أراد أن يصل إلى ربه، فليتفرغ لمواصلة السير، ومن آثر جلاء مرآة قلبه، فليتناسى ذكر الورى. كيف يصل إلى الله من لا يسير، وهو في قبضة العوائق أسير؟.

اللّه تعالى مستغنٍ عما سواه، وكل ما سواه إليه فقير، يجير على كل أحد، وما أحد عليه يجير.

هو القاهر فوق عباده، إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون، لا يتأخر عن مراده.

لا تدركه الأبصار، ولا تحويه الأقطار، ولا تتمثله الأفكار، كل الخلائق عن إدراكه قاصرون، وفي تيه معرفته حائرون.

له مقاليد السموات والأرض، وبيده البسط والقبض، والرفع والخفض نصيب الجبال فأرساها، وفجّر المياه وأجراها، وسمّك السماء وأعلاها، ووضع الأرض ودحاها، وسخر الشمس والقمر دائبين، وجعل الليل والنهار متعاقبين.

الملائكة من خشيته مشفقون، والرسل من هيبته مطرقون، والجبابرة لعظمته صاغرون، وكل من في السموات والأرض له قانتون.

ما وعظ الواعظون بمثل التخويف من الانقطاع عن الوصول، ولا أطرب الحادون بمثل التشويق إلى النظر إلى جمال وجه اللّه، ومرافقة رسول اللّه، ولا يسمع السامعون بمثل حسرة المحجوبين يوم القيامة عن اللّه، وعن شفاعة رسول اللّه ﷺ.

كم من قريب أبعده التباعد؟! وكم من قائم أقعده التقاعد؟! لايزال رجال يتأخرون حتى يؤخرهم اللّه يوم القيامة.

خيا طول حزن الغافلينا

عن ذكر رب العالمينا

يا هضمهم يومًا يرون

ثواب ذكر الذاكرينا

ســـــتطول حـــــســـــرتهم لما

كـــانوا به مـــتـــــشـــاغلينا

يتـــحـــــســـــرون على فـــــوا

ت من فـــعـــــال الطائعـــــينا

يا حـــــســـــرة يَصْلَونَ جـــمـــ

ـرتهـــــا خـــــزايا نـادمـــــينا

ليس الذاكر من قال: سبحان الله والحمد لله وقلبه مصر على الذنوب، وإنما الذاكر من إذا همَّ بمعصية ذكر مقامه بين يدي علام الغيوب. كما قال بعض السلف: ليس الذاكر من همهم بلسانه، وإنما الذاكر من إذا جلس في سوقه، وأخذ يزن بميزانه، علم أن الله مطلع إليه، فلم يأخذ إلا حقًا، ولم يعط إلا حقًا.

يا إلهي، فـارحم رهافـة حـسي

وأهب نفسي قلبًا وطرفًا غضيضا

أنا في غـــفلتي ألج وأمـــضي

وكـياني منها يمض مـضيضا!

يا إلهي، ولي إلى التـــوب توق

لاح في غـور مـقلتي ومـيـضا

وسناك العلوي يغـــسل روحي

وجروحي، يأسو المريض الرميضا

صـفـحـاتي تضج من سـيـئـاتي

ودعـائي يؤج بي مـسـتـفـيـضا

يا إلهي الرحـيم، فـامنن لتـغـدو

بالتجلي، سود الصحائف بيضا

obeikandl.com

إشارات تدل على عظمة الحميد ذي العرش المجيد

سبحان من أحاط علمه بالكائنات، واطلع على النيات، وعلم بنهايات الأمور، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، علم ما في الضمير، ولا يغيب عنه الفتيل والقطمير: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

يبدئ ويعيد، وينشئ ويبيد، وهو فعال لما يريد، لم يخلق الخلق سدى، ولم يتخذ المضلين عضدًا، وهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

دخل موسى وهارون على رأس الطغيان، فهابا السلطان والصولجان، وخافا في ساعة الامتحان، فنادى رب الورى قوي العرى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.

هرب موسى من فرعون، فاصطدم بالبحر، وضاق الأمر، فصاح بنو إسرائيل إنا لمدركون، فقال: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

لما التجأ الرسول مع الصديق إلى الغار وأحاط به الكفار، وفوّض الأمر إلى الواحد القهار، قال الصديق: كيف لو رأونا هنا؟! قال: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

شكت خولة بنت ثعلبة للرسول ﷺ أمرها وأخبرته سرها وعائشة في طرفس البيت لم تسمع همسًا، ولم تعلم حسًا، فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[1].

اجتمعت عائشة وحفصة وتفاوضا في شأن الرسول ﷺ وأخبرت إحداهما

(١) أخرجه البخاري معلقًا في «كتاب التوحيد»، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، وأحمد برقم (٢٣٦٧٥)، والنسائي برقم (٣٤٦٠)، وابن ماجه برقم (١٨٨).

الأخرى بسرٍّه، وكشفت شيئًا من أمره، فأنزل علام الغيوب: ﴿ **وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا** ﴾[١].

أصاب الناس على عهده ﷺ قحطٌ شديد، فدخل أحدهم والرسول ﷺ على المنبر يوم الجمعة، فشكى إليه الحال، وضياع المال، وجوع العيال، فدعا الرسول ﷺ ذا الجلال، وناداه وسأله واستجداه، والسماء صحو لا غيم فيها، فثار السحاب في لحظة، ونزل الغيث في طرفة عين، وإذا الأرض عين معين ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾[٢].

أجدبت الديار، وجفَّت الآبار، وبعد العهد بالأمطار، وذبلت الأزهار، ويبست الأشجا، فرفعت نملة يديها ورجليها إلى باريها وخالقها وهاديها ومطعمها ومسقيها، فدعت وألحت، فأنزلب الله الغيث المغيث، والوبل المكيث، وقال سليمان عليه السلام لقومه: ارجعوا فقد سقيتم بدعاء غيركم[٣]، وفي الأثر: «**يضحك ربك إلى عباده أذلين قنطين يعلم أن فرجهم قريب**»[٤].

سبحان الله! عرفه الهدهد بأسمائه وصفاته وآياته ومخلوقاته، وفأذعن له بالوحدانية، واعترف له بالعبودية، وغضب على قوم كفروا به ﴿ **وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩١٢، ٥٢٦٧، ٥٢٦٨)، ومسلم برقم (١٤٧٤)، وأحمد برقم (٢٥٣٢٤)، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٩٣٣، ١٠١٣، ١٠٢١)، ومسلم برقم (٨٩٥)، وأحمد برقم (١١٦٠٨، ١٢٦٠٤) وغيرهم.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة برقم (٢٩٤٨٧، ٣٤٢٧٣)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (٨٧/١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠١/٣)، وابن حبان في «الثقات» برقم (١٤١٥٦) عن أبي الصديق الناجي.

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» ٢٥٢/١).

يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

سبحان الله ! إذا وضعت في الأرض بذرة أو حبة لا تنبت حتى تهتز الأرض بقدرة القادر، هزة خفيفة فتفقس البذرة وتنبت ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

سبحان الله! انطلقت النجوم من مواقعه من آلاف السنين بسرعة الضوء ولم «يصل» بعضها إلى اليوم من طول المدى وتباعد المسافة، واتساع الكون، وعظمة القدرة ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾.

سبحان الله! الدودة في الطين يرزقها رب العالمين، والحوت في الماء يغذيه رب الأرض والسماء والحشرة على الأوراق يطعمها الرزاق ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

سبحان الله! يسير الريح الزمهرير، ويجري الرياح لا صرير، يثير الغمام، ويقلب الأيام، ويجري السحاب ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾.

سبحان الله! أهلك القرى لما أعرضت عن دينه، والسماوات مطويات بيمينه، ينقذ مَن على الهلاك أشفى، ويعلم السر وأخفى.

لما تمرد فرعون وبغى، قال لموسى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾. قال فرعون: أنا بالألوهية أولى ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ﴾.

أنشأ الشعوب وأفناها، وأحيا الأمم وأعلاها، لما أباد الدول والملوك الأول، جعل هلاكهم للباقين رمزًا ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾.

حـــارت الأفكار في قـــدرة من

قـــد هدانا ســـبلنا عـــزّ وجلّ

كـــــتب الموت على الكلّ فكم

فَلَّ من جـــيش وأغنى من دول

مُؤَمِّنُ الخائف، وناصرُ المظلوم، وعضد الملهوف، ونصير المضطهد، ومطعم الجائع، ومكسي العاري، ومبكي الطاغي ... ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

خلق السماء وقال عنها: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، وخلق الأرض وقال: ﴿وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾.

وعن الشمس يقول: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

وعن القمر يقول: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾.

وقال عن الماء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقال عن الرياح: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾.

وقال عن الليل: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾.

وقال عن النهار: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾.

قال عنه الخليل، لما حاور الملك الضليل: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾.

وقال عنه الكليم لما حاج الطاغية اللئيم: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

مدح نفسه قبل أن يمدحه المادحون، وأثنى على جلاله قبل أن يثني عليه

المثنون، ووصف عظمته قبل أن يصفه الواصفون، قال عن نفسه: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا﴾، وقال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾.

وقال: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

الجبال المنيفة، والشواهق المخيفة، أخبر عن خلقها فقال: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾، وأخبر عن إبادتها وانتهائها، فقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾.

فسبحانه من عظيم! جعل هذا الجرم الهائل من الصخور والرمال يطير في الهواء شذرًا، ويتفتت في السماء مذرًا ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

obeikandl.com